

كتاب

دروس السيرة النبوية

لتلامذة المدارس الإبتدائية

للعالم العلامة الحبر الفهامة

السيد علوي بن طاهر بن عبد الله الهدار الحداد العلوي الحسيني

رحمه الله تعالى



من رسائل السيد العلامة علوي بن طاهر الحداد

(٣)

كتاب

دروس السيرة النبوية

لتلامذة المدارس الابتدائية

للعالم العلامة الحبر الفهامة

السيد علوي بن طاهر بن عبد الله الهدار الحداد العلوي الحسيني

رحمه الله تعالى



الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

تعريف
بمؤلف هذه الدروس

هو السيد العلامة.. شيخ الإسلام المحقق المجد في نشر الشريعة الإسلامية والذاب عنها وعن السنة النبوية.. من تحريف المبتدعة والملاحدة والمجددين المنتحلين علوي بن طاهر الحداد العلوي الحسيني ولد ببلد (قيدون).. سنة ١٣٠١ هجرية في وادي دوعن من بلاد حضرموت.. ونشأ في حجر والدته يتيماً.. وألقىٰ الله في قلبه محبة العلم والعلماء.. فلازم العلماء وأخذ عنهم العلوم الشرعية وتعلم ما عندهم من علوم شرعية.. وحفظ في صغره القرآن الكريم والكثير من المتون.. ولم يبلغ سن السابعة عشرة إلا وهو من المتصدرين لتدريس العلم في مسجد الشيخ سعيد بن عيسىٰ العمودي.. وعندما بلغ عشرين سنة كان يقوم بالوعظ والإرشاد في الجموع.. طلب العلم عن علماء عصره وصالحيه كالحبيب طاهر بن عمر الحداد وولده محمد بن طاهر الحداد والحبيب العلامة أحمد بن حسن العطاس والشيخ العلامة مفتي حضرموت أبو بكر بن عبد الله

الخطيب والشيخ العلامة أحمد بن عبد الله الخطيب القيدوني والشيخ العلامة عمر الخطيب والشيخ المعمر عمر بن عثمان العمودي وغيرهم..

وقد قام برحلات إلى اندونوسيا والحبشة وغيرها.. وكان له في تلك البلدان أثراً محموداً.. فقد قام ببناء مدارس ومساجد عندما سافر في رحلته الأخيرة إلى اندونوسيا.. كان يلقي دروساً في مدرسة جمعية خير في جاكرتا.. وقد ألف للطلبة رسائل في العلوم التي كانوا يدرسونها عليه منها: التاريخ الإسلامي وعقيدة التوحيد ومصطلح الحديث وأصول الفقه.. وبما أن جزئين من الدروس قد طبعت وأحببنا الآن إعادة طبعها.. كما أننا نؤمل بإعادة طبع ما بقي منها.. كتبنا هذه الكلمة تعريفاً بالمؤلف.. ونرجو من الله القبول..

حامد بن علوي الحداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، باعث النبيِّ الأمين، سيد المرسلين، وخاتم النبيين، رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين، وحجة على الناس أجمعين، صلَّى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المهتدين، السابقين الأولين، والتابعين المحسنين.

﴿أما بعد﴾: فهذه خلاصة لطيفة وجملة شريفة، من سيرة محمد ﷺ، جعلتها للقسم الأول من المبتدئين، وهي نافعة لغيرهم من النابهين، أسأل الله أن ينفع بها جامعها وقارئها آمين.

الدرس الأول

أدوار التاريخ

أدوار التاريخ في عرف المسلمين بالنسبة لدين الإِسلام خمسة:

﴿الأول﴾: دور الفترة أو الجاهلية وهو ما قبل البعثة النبوية.

(الثاني): دور النبوة والرحمة وهو زمن بعثته ﷺ إلى وفاته وما يتعلق بذلك.

(الثالث): دور الخلافة والرحمة وهو من زمن وفاته ﷺ إلى وقت اضطرار الحسن السبط عليه السلام إلى النزول عن الخلافة.

(والرابع والخامس): دور الملك العضود، ودور الجبرية والعتو والفساد في الأرض وهما ما بعد ذلك.

تاريخ السيرة النبوية

هذا هو الدور الثاني من أدوار التاريخ، وهو دور النبوة والرحمة وهو المقصود بهذا التأليف.

ابتداؤه وانتهاؤه

يبتدىء هذا التاريخ من يوم وُلِدَ ﷺ، أي منذ ثلاث وخمسين سنة قبل الهجرة. وينتهي بوفاته ﷺ بعد عشر سنين من الهجرة.

إجمال المقصود ذكره من هذا التاريخ

ينحصر ذلك في ذكر الإِشارة إلى الدّين الذي بُعث به ﷺ، وما يتعلق به من ذكر نسبه وقومه، وحاله قبل البعثة وبعدها، وسيرته ودعوته وغزواته وسراياه، وذكر من يتعلق به من أهل بيته كأبنائه وأعمامه، وذكر أزواجه وأصهاره ومواليه ﷺ ونحو ذلك.

دين الإِسلام

بُعث رسول الله ﷺ بدين الإِسلام، وهو دين الله الذي اصطفاه لأنبيائه والمصطفين من عباده، وهو الدّين الذي لا يقبل غيره، ولا ينجو إلاَّ من تمسك به، قال الله تعالى: ﴿إنَّ الدّين عِندَ الله الإِسلام﴾. وقال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإِسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ وهو ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام التي كان عليها. قال الله تعالى:﴿ملة أبيكم إبراهيم هو سَمَّاكُمُ المُسلمين من قبل﴾ وفي هذا قال تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم

حنيفاً وما كان من المشركين﴾. فهذا الدّين هو الدّين الحق المرضي عند الله المقبول لديه، وهو دين التوحيد ألا لله الدين الخالص.

الأديان السابقة

قد بعث الله قبل نبينا ﷺ أنبياء كثيرين كلهم قد أخذ الله عليه الميثاق: إن أدرك النبيَّ محمداً أن يؤمن به وينصره. وأشهرهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، وقد أخذ أتباعهما بدينهما برهة من الدهر، ثم انحرفوا عن السبيل وضلوا وحرَّفوا كتبهم، وأفسدوا دينهم ونسوا حظاً مما ذكرِّوا به، كما حكى الله ذلك عنهم في القرآن.

حال الناس قبل بعثته ﷺ

كان الناس قبل مبعثه ﷺ في فترة من الرسل وجهل بالدين، وبعد عن الحق والهدى. فهم ما بين أمّي مشرك بالله لا يعرف كتاباً ولا رسولاً، ولا يقر ببعث ولا جزاء. فهو في غياهب من الجهل، وغيابات من الضلال، أو كتابي قد أضلَّ سبيله، وحاد عن دينه وحرَّف كتابه. وظن في الله الظنون.

الدرس الثاني

أجيال الناس

ينقسم الناس إلى قسمين: عرب وعجم، وينقسم العرب إلى ثلاثة أقسام: عرب عاربة وتسمَّى أيضاً العرب البائدة، وهم عاد وثمود وغيرهم من أهل العصور الأولى. وعرب متعربة وهم من بعدهم من قبائل قحطان. وعرب مستعربة وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

نبينا محمد ﷺ من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام

وذلك أن العرب المستعربة كلهم من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ومنهم مضر، ومن مضر قريش، ومن قريش بنو عبد مناف، ومن بني عبد مناف بنو هاشم، ومن بني هاشم نبينا محمد ﷺ.

نسبه الشريف

هو نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن

مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وينتهي نسبه إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام.

نسب أمه

وأما أمه فهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب إلى آخر النسب المتقدم فإنها تجتمع معه ﷺ في كلاب بن مرة.. فهي قرشية من بني زهرة.

بشارة الأنبياء به

قد بشَّر به ﷺ الأنبياء من قبله. وبشَّر به موسى وعيسى وغيرهما من بني إسرائيل. وأخذ الله على الأنبياء العهد بتصديقه ونصره. قال تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصْري قالوا أقررنا قال فاشْهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾.

دعوة إبراهيم وإسماعيل ﷺ ربهما فيه واستجابة الله لهما

أمر الله خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يُسكن ولده إسماعيل ﷺ مكة ليعمر به وببنيه من بعده بيته. ويبعث فيهم خاتم رسله محمداً ﷺ. ودعا إبراهيم وإسماعيل ربهما في ذلك. فاستجاب لهما. قال تعالى:

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبّل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسْلمين لك ومنْ ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك التواب الرحيم. ربنا وابْعثْ فيهمْ رسولاً منْهمْ يتلو عليْهم آياتك ويعلِّمهم الكتاب والحكْمة ويزكيْهمْ إنَّك أنْت العزيْز الْحكيْم﴾ وهذا الرسول هو نبينا محمد ﷺ.

فضائل قومه ﷺ وعشيرته

أجمع المسلمون على أن قومه ﷺ أفضل الأقوام وعشيرته أفضل العشائر. وبيته خير البيوت. ونسبه خير الأنساب. فهو أفضل بني آدم نسباً وحسباً وقوماً وعشيرة، ولبني هاشم فضائل كثيرة تطلب من مطولات السِّير.. فهم أصحاب زمزم والسقاية والرفادة والإِيلاف وحلف الفضول وغير ذلك، أما فضائلهم في الإِسلام فحدِّث عن البحر ولا حرج.

قبائل قريش

تنقسم قريش إلى قسمين: قريش الظواهر، وقريش البطاح.

فأما قريش الظواهر فهم من نزل خارج مكة، ومنهم بنو محارب بن فهر، وبنو الحارث بن فهر، وبنو تيم بن غالب بن فهر، وبنو عامر بن لؤي.

وأما قريش البطاح فهم النازلون بمكة وهم بنو هاشم، وبنو المطلب. وهم الذين يطلق عليهم الآل، وحرِّمت عليهم الزكاة. وبنو عبد شمس، وبنو نوفل وهذه الأربع القبائل هم بنو عبد مناف. وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي، وبنو عبد الدار.

الدرس الثالث

الأحلاف

وقعت بين قبائل قريش أحلاف في الجاهلية، تدانوا بها وتباعدوا. وكان لها بعض الأثر في تاريخ الإِسلام وحوادثه.

حلف المطيبين

وسببه أن قريشاً تنازعت على الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، وكانت بيد آل عبد الدار. فتداعوا إلى الحرب، وتحالفوا عليه. فكان بنو عبد مناف ومعهم بنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر هم المطيبون. وكان مع بني عبد الدار بنو مخزوم وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدي وهم الأحلاف. وأما بنو عامر بن لؤي وبنو محارب بن فهر؛ فاعتزلوا الفريقين، ثم تداعوا إلى الصلح فكانت الرفادة والسقاية لبني عبد مناف، ثم لبني هاشم، وكان اللواء والحجابة والندوة لبني عبد الدار.

حلف الفضول

أصحاب حلف الفضول هم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو أسد وبنو زهرة وبنو تيم، أي أصحاب حلف المطيبين، وخرج منهم بنو نوفل وبنو عبد شمس وبنو الحارث بن فهر هم وسائر قريش فلم يكونوا مع أهله.

وسببه تكاثر الظلم من بعض قريش، فاجتمع هؤلاء وتحالفوا ليكونن مع المظلوم حتى يؤدوا إليه حقه، وعلى التآسي في المعاش، والتساهم بالمال، والنهي عن كل منكر.. وهو حلف شريف من أشرف الأحلاف وأفضلها. قال فيه رسول الله ﷺ: (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحبُّ أن لي به حمر النعم، ولو أدَّعي به في الإِسلام لأجبت). وكانت النباهة في هذا الحلف للزبير بن عبد المطلب أحد أعمام النبيِّ ﷺ.. فإنه هو الذي نهض فيه ودعا إليه.

تحالف بني نوفل وبني أمية على بني هاشم

وسبب ذلك أن نوفل بن عبد مناف غصب عبد المطلب بن هاشم أفنية له ودوراً. فاستنصر عبد المطلب رجالاً من قومه على عمه نوفل فامتنعوا أن ينصروه. فكتب لأخواله من بني النجار إلى المدينة؛ فقدم مكة خاله أبو سعد بن عدي بن النجار من الخزرج، فكف يد نوفل عنه. ولما جرى ذلك حالف

نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على بني هاشم وحالفت بنو هاشم خزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس.

مولده ﷺ

ولِدَ ﷺ ببطن مكة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول على المشهور عام الفيل، قبل تاريخ الهجرة بثلاث وخمسين سنة. وكان أمر الفيل وإهلاك الله لأصحابه إرهاصاً لنبوته ﷺ، ومقدمة لظهوره. وتعظيماً للبيت الحرام الذي بعث فيه. وتوفي أبوه عبد الله وهو حَمْلٌ في بطن أُمه وقيل: بعد ولادته. وعَقَّ عنه جدُّه عبد المطلب، وسمَّاه محمداً إلهاماً من الله.

مرضعاته ﷺ

أرضعته بعد أمه ثويبة الأسلمية، ثم حليمة السعدية. ومكث عندها زمناً، وظهرت له بركات. ثم أرجعته إلى أمه فحضنته. ثم زارت به أخوال أبيه بني النجار في المدينة، ثم انصرفت فتوفيت بالأبواء وهو ابن سبع سنين.

كفالة جدِّه عبد المطلب له

ثم كفله بعد وفاة أمه جدُّه عبد المطلب. وتوفي وهو ابن ثماني سنين.

كفالة عمه أبي طالب وهو أبو الإِمام علي كرَّم الله وجهه

ثم كفله بعد وفاة جدِّه عمُّه أبو طالب بن عبد المطلب، واستمرت كفالته له في صغره، ونصره له في كبره.

نشأته ﷺ

شبَّ رسول الله ﷺ والله يكلؤه ويحفظه، ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامته ورسالته. حتى بلغ سن الرجولية. فكان أفضل قومه مروءة. وأحسنهم خلقاً. وأكرمهم حسباً. وأحسنهم جواراً. وأعظمهم أمانة. وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزهاً وتكرماً. حتى ما كان اسمه في قومه إلاّ الأمين؛ لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة.

الدرس الرابع

سفره مع عمه أبي طالب إلى الشام

تهيأ أبو طالب للسفر إلى الشام فصب به رسول الله ﷺ؛ فَرَّق له أبو طالب وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه. وكان سنُّه ﷺ حينئذٍ تسع سنين، وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرين وعشرة أيام. فرآه بحيرا الراهب فعرفه بعلامات النبوة. وأمر عمه برده إلى مكة، وتخوَّف عليه اليهود. وظهرت له في سفره ﷺ إرهاصات تكرمة له، وتقدمة لما يريد الله إكرامه به.

حرب الفجَّار

هي حرب وقعت بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان؛ وذلك حين بلغ ﷺ أربع عشرة أو خمس عشرة سنة، وقد حضرها ﷺ مع أعمامه.

سفره إلى الشام ثانياً

ولما بلغ ﷺ خمساً وعشرين سنة سافر إلى الشام في تجارة لخديجة رضي الله عنها ومعه غلامها يخدمه. ثم عاد وقد ربح وأربح.

تزوّجه خديجة رضي الله عنها

فلما عاد تزوج خديجة ـ رضي الله عنها ـ وهي أول إمرأة تزوَّجها، ولم يتزوج عليها حتى ماتت! ومنها كل أولاده إلاّ إبراهيم. وهي أول من أسلم على الإِطلاق وفضائلها كثيرة.

بنيان الكعبة ووضعه الحجر الأسود في موضعه

لمّا بلغ ﷺ خمساً وثلاثين سنة، اجتمعت قريش فبنت الكعبة. ولما بلغ البناء إلى موضع الحجر الأسود تنازعت فيه القبائل.. كل قبيلة تريد أن تستأثر بشرف وضعه! فتداعوا إلى القتال، ثم إلى الصلح، ورضوا بحكم أول داخل من باب المسجد. فكان النبيُّ ﷺ أول داخل! فقالوا: هذا الأمين، وكلنا نرضاه ـ فأخذ الحجر فوضعه في ثوب، ثم أمر القبائل فرفعته. فلمّا سامت موضعه أخذه فوضعه مكانه بيده الشريفة.

مبعثه ﷺ

ولمّا بلغ ﷺ أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين. هادياً للناس أجمعين. وأول ما نزل عليه من القرآن قوله تعالى: ﴿إقرأ بأسم ربك الذيْ خلقْ؛ خلق الإِنْسان من علق؛ إقْرأ وربك الأكْرم؛ الذي علّم بالقلمْ؛ علم الإِنسان ما لمْ يعْلمْ﴾ ثم نزل عليه ﴿يا أيها المدثِر قمْ فأنْذر﴾ ثم تتابع الوحي.

ابتداء الدعوة وأول مَنْ أسلم

ابتدأ ﷺ بالدعاء إلى الله سراً. وكان أول من أسلم أهل بيته قبل كل أحد زوجته صلى الله عليه وسلم خديجة وبناتها، وعليّ عليهم السلام، وزيد بن حارثة، كما قال الحافظ ابن كثير وعليه المحققون، ثم أبو بكر الصديق وبلال.

السابقون إلى الإِسلام

هم كثير.. ذكرهم ابن اسحاق وغيره.. فمنهم جعفر بن أبي طالب أسلم بعد أخيه عليّ بقليل. ثم أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب. وفاطمة بنت أسد أم الإِمام علي كرَّم الله وجهه. وهي أول إمرأة بايعت رسول الله ﷺ وأسماء بنت أبي بكر التيمية. وأم جميل فاطمة بنت الخطاب العدوية أخت عمر رضي الله عنه. وعمرو بن عبسة السلمي. ثم عثمان بن عفان الأموي. والزبير بن العوام الأسدي. وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الزهريان. وطلحة بن عبيد الله التيمي. وسعيد بن زيد العدوي. وعبد الله بن مسعود الهذلي. وأبو ذر الغفاري. وخالد بن سعيد بن العاص الأموي.. وغيرهم.

الدرس الخامس

إظهار الدعوة

مكث ﷺ متستراً بالدعوة ثلاث سنين، ثم أمره الله أن يصدع بها، وأنزل عليه: ﴿فاصدع بما تُؤمر وأعرض عن المشركين﴾. فقام صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالدعوة والنذارة، وصدع بالأمر صدعاً. وبادى به العدو والصديق، والبعيد والقريب. ومضى على أمره قدماً لا يرده شيء.

جمعه لبني المطلب خاصة ودعوته إياهم

لمّا نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذرْ عَشِيْرتَكَ الأَقْرَبِيْنَ﴾ جمع بني المطلب فدعاهم إلى الله، وخطبهم وقال لهم: (إن الرائد لا يكذب أهله. والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم. والله الذي لا إله إلاَّ هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة. لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون. ولتحاسبن بما تعملون. ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً. وإنها لجنة أبداً أو نار أبداً. يا بني عبد المطلب: ما أعلم شاباً أتى قومه بأفضل مما جئتكم به. إني قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة). فتكلَّم القوم كلاماً ليناً غير أبي لهب

فإنه ردَّ ردّاً قبيحا، ودعا بني عبد المطلب إلى القبض عليه؛ فقال أبو طالب: والله لنمنعه ـ أي لننصرنه ـ ما بقينا أبداً. وفي هذه المرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فمن يجيبني ويؤازرني ثلاث مرات؟) كل ذلك يقوم الإِمام عليٌ كرَّم الله وجهه فيقول: أنا. فقال له: (إجلس فأنت أخي)، وفي رواية فأنت أخي ووزيري، ووصيي.

جمعه ﷺ قريشاً.. ونداؤه بهم على الصفا

ثم جمع ﷺ قريشاً، فدعاهم إلى الله كما دعا بني عبد المطلب. ثم طلع يوماً على الصفا فهتف بهم يا صباحاه! ونادى بقريش فخصَّ وعمَّ. فأقبلوا إليه من كل أوب. فلمّا اجتمعوا له قال: (إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم.. أكنتم مكذبي؟) قالوا: والله ما جرَّبنا عليك كذباً. فقال: (يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً، إني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد فلم يبعد منه قومه).

مباعدة قريش له بعد ذلك

ثم إنَّ رسول الله ﷺ ذكر آلهتهم وطواغيتهم فعابها. وقدم ناس من الطائف من قريش من أصحاب الأموال

فأنكروا عليه ذلك، واشتدوا عليه وكرهوا ما قال، وأغروا به من أطاعهم؛ فتولى الناس عنه إلاَّ من عصم الله.

تذامر قريش وإجماعهم على عداوته

فعند ذلك تذامرت قريش، وتداعت بينها، وأكثروا القول فيه ولقي بعضهم بعضاً، وناكروه وأجمعوا على خلافه.

نصرة أبي طالب له ومنعه ممن أراده بسوء

فحدب عليه عمه أبو طالب، ومنعه ممن أراده بسوء، ولم يسلمه لأحد. فمشى أشراف قريش وساداتها بعضهم إلى بعض. ثم جاءوا أبا طالب فخيَّروه بين أن يكفه عن دعوته، أو يخلي بينهم وبينه. فردَّهم أبو طالب ردّاً جميلاً ولم يجبهم إلى ما سألوا. ومضى رسول الله ﷺ لا يرده شيء يدعو إلى الله ليلاً ونهاراً.

الدرس السادس

عود قريش لأبي طالب ثانياً

ثم شرى الأمر بينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا. وأكثر قريش في شأنه ﷺ وتذامروا، وأقبلوا إلى أبي طالب فقالوا له: إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وقد كلمناك. فإما أن تنهى ابن أخيك وتكفه، أو ننازله الحرب وإيّاك حتى يهلك أحد الفريقين. فعظم ذلك على أبي طالب؛ ولكنه لم يسلم رسول الله ﷺ لأحد!

عود قريش إليه ثالثاً

فلبثوا بذلك برهة. ثم عادوا فاجتمعوا وتشاوروا بينهم، ثم قصدوا أبا طالب إلى بيته وكلّموه بمثل كلامهم الأول. فدعا أبو طالب رسول الله ﷺ وهم شهود وقال له: إنهم يسألونك أن تكف عن شتم آلهتهم، فقال له رسول الله ﷺ: (إنما أسألهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم). قالوا: وما هي؟ قال: (لا إله إلاً الله) فنفروا واستكبروا. فقال رسول الله ﷺ لعمه: (يا عماه، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن

أترك هذا الأمر لم أتركه؛ حتى يظهره الله أو أهلك فيه). فقال: إذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت! فوالله لا نسلمك لشيء أبداً.

مراودة قريش لأبي طالب أن يبادلوه برسول الله ﷺ فتى منهم

ولما آيست قريش أن يخذل أبو طالب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم، أو يسلمه لهم جاءوه بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي. وقالوا له: يا أبا طالب.. هذا عمارة بن الوليد أنهد فتىً في قريش، وأجمله فخذه لك فلك عقله (أي ديته) ونصرته، واتخذه ولداً فهو لك.. وأسلم لنا ابن أخيك فنقتله؛ فإنما هو رجل برجل. فقال أبو طالب: بئس.. والله ما تسومونني أتعطوني إبنكم أغذوه لكم؟ وأعطيكم إبني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون أبداً. فتنابذ القوم وحميت الحرب وبادى بعضهم بعضاً.

متابعة بني هاشم والمطلب لأبي طالب

ولمّا رأى أبو طالب من قريش ما رأى. دعا بني هاشم وبني المطلب إلى معاضدته على ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه؛ فأجابوه إلى ذلك وكانوا معه يداً واحدة على نصرته.

خُطب أبي طالب وقصائده ومقاماته

كان أبو طالب مشمراً في أمر رسول الله ﷺ ونصره ومنعه ممن أراده بسوء. وله في ذلك خطب ومقامات وقصائد مشهورة، ذكرها ابن اسحق وابن هشام وغيرهما. وفيها من مدح النبيِّ ﷺ الكثير الطيب. وفيها معاتبات لإِخوانهم من بني عبد مناف على خذلانهم ومتابعتهم لسائر قريش دونهم. كما لم يعاونوهم على حلف الفضول، وشايعوا المقرين للظلم. وكثيراً ما عاتب حلفاء بني هاشم الذين خاسوا بحلفهم، ونقضوا عهدهم كبني تيّم وبني زهرة وبني مخزوم. فكل هؤلاء نابذوا بني هاشم والمطلب، وحاربوهم من أجل أن نصروا رسول الله ومنعوه أن ينالوه والله المستعان.

ذكر بعض من سماهم أبو طالب من رؤساء قريش

قد سمّىٰ أبو طالب عدداً من رؤساء القبائل والعشائر المعادية لهم لمَّا منعوا رسول الله ﷺ ونصروه. منهم.. عتبة وشيبة ابنا ربيعة. وأبو سفيان صخر بن حرب العبشميون من بني عبد شمس. وأبو البختري العاص بن هشام. وعبد العزى بن قصي. والأسود بن المطلب الأسديون. وأبو جهل بن هشام. والوليد بن المغيرة المخزوميان. ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان. والمطعم بن عدي بن نوفل النوفلي. وأسيد بن أبي

العيص العبشمي الأموي. وعثمان بن عبيد الله التيمي. ونوفل بن خويلد الأسدي قتله أمير المؤمنين علي كرَّم الله وجهه يوم بدر. وأبو عمرو قرظة بن عمرو النوفلي وغير هؤلاء.

الدرس السابع

محالفة قريش بني بكر على بني هاشم

كانت بين قريش وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة عداوة قديمة وترات وذحول في الجاهلية. فلمّا جاء الإسلام حالفوهم على بني هاشم تكثراً بهم وهم القوم الأظنة في قول أبي طالب:

وقد حالفوا قوماً علينا أظنة	يعضون غيظاً خلفنا بالانامل

ائتمار قريش بأن يفتنوا من أسلم

ثم غدت كل قبيلة منهم على من أسلم منها.. تعذبه، وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش.. وغير ذلك من أنواع العذاب.

إستهزاؤهم به ﷺ وذكر المستهزئين

قال الله تعالى: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾. فقد نالته قريش بأنواع من الأذى والتكذيب، وقبيح القول وسوء الجوار. وتجرَّد رهط منهم للاستهزاء به ﷺ والسخرية منه. فأنزل الله بهم نقمته فماتوا كفاراً بأنواع من النقم.

أسماؤهم

ذكرِ أهل السِّير منهم أبا جهل. وأبا لهب. وعقبة بن أبي معيط أبا الوليد بن عقبة الفاسق. والحكم بن العاص أبا مروان بن الحكم. والعاص بن وائل أبا عمرو بن العاص. والوليد بن المغيرة والد خالد بن الوليد وعم أبي جهل. والأسود بن المطلب الأسدي. والأسود بن عبد يغوث الزهري. والنضر بن الحارث العبدري من بني عبد الدار.

الهجرة الأولى إلى الحبشة

لمّا اشتدَّ البلاء بالمسلمين أمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة. فهاجر منهم اثنان وثمانون رجلاً وعدة نسوة. فخرج أولاً عثمان بن عفّان في تسعة رجال معه. ثم جعفر بن أبي طالب.. ثم تتابع الباقون فكانوا بها ومكثوا بها ما شاء الله أن يمكثوا، ورسول الله ﷺ مقيم بمكة يدعو إلى الله سراً وجهراً.

افتراء قريش على رسول الله ﷺ واجتماعهم وتشاورهم

لمّا رأت قريش أنها لا تقدر على قتله. وأن الله قد منعه بعمه أبي طالب ومن استجاب لنصرته من عشيرته، عادوا إلى الفرية والكذب عليه وقول الإِفك.. فجعلوا يرمونه بكل عضيهة؛ فرموه بالسحر والكهانة والجنون.

ثم اجتمعوا إلى الوليد بن المغيرة المخزومي فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدّم عليكم؛ وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا. فأجمعوا رأياً واحداً، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً. ويرد قولكم بعضه بعضاً قالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقل به. قال: بل أنتم! فقالوا اسمع: نقول كاهن؟ قال: لا والله ما هو بكاهن. لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه. قالوا: فنقول مجنون؟ قال: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا: فنقول شاعر؟ قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر. قالوا: فنقول ساحر؟ قال: ما هو بساحر لقد رأينا السحّار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟! قال: والله إن لقوله لحلاوة، وإن له لطلاوة، وإن أصله لمغدق وإن أعلاه لمثمر، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلاً وأنا أعلم أنه باطل. وإن أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر! فتفرقوا على ذلك، وقعدوا للناس بكل سبيل يصدونهم عنه.

الدرس الثامن

خوف أبي طالب من دهماء العرب وتعوذه بالقصيدة اللامية

لـمّا أشاعت قريش بين حجاج العرب على رسول الله ﷺ ما أشاعت من الفرية. خشي أبو طالب أن يحمل ذلك دهماء العرب على أن يركبوه وقومه بالبغي والباطل، اغتراراً بأكاذيبهم. فقال قصيدته اللامية أولها:

ولـمـا رأيـت الـقـوم لاودَّ عـنـدهـم   وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقال فيها:

أعـوذ بـرب الـنـاس من كـل طاعـن   عـلـينا بـسـوء أو مـلـح بـبـاطـل
ومـن كـاشـح يـسـعى لـنـا بـمـعيبة   ومن ملحق في الدين ما لم نحاول

وقد عاتب في هذه القصيدة أشراف قومه وحلفاءه، وذكر خذلانهم له وعدوانهم عليه. وأشاد فيها بمدح رسول الله ﷺ ودينه، وأنه سيمنعه من كل أحد. فكشف بذلك ما لفقته قريش من أباطيلها.

إنتشار ذكره ﷺ في جزيرة العرب

لـمّا قعدت قريش بكل سبيل يصدون الناس عن رسول الله ﷺ ويفترون عليه الكذب. كان ذلك سبباً لشيوع أمره، وانتشار ذكره؛ فصدرت العرب عن موسم

الحج وهم يتحدثون بشأنه؛ فعاد مكر قريش عليهم ومكروا ومكر الله.

محاولتهم اغتياله ﷺ

حاول ناس من قريش من بني أمية وبني مخزوم أن يغتالوه؛ فعصمه الله منهم، وظهرت في ذلك معجزات مذكورة في مطولات السير.

إسلام حمزة رضي الله عنه

كان حمزة عمّ النبيِّ ﷺ من أعز شبان قريش وأشدهم شكيمة. وأعظمهم شهامة. وبه وبأمير المؤمنين عليّ رضي الله عنهما قتل الله رؤوس الكفر ببدر.

عاد حمزة من قنصه يوماً، فلما دخل شوارع مكة قالت له امرأة: لو رأيت يا أبا عمارة ما لقي ابن أخيك محمد قبل أن تأتي من أبي الحكم بن هشام، تعني أبا جهل! لقد سبَّه وآذاه! فاحتمل حمزة الغضب، وقصد أبا جهل وهو في ناديه بين قومه، فضربه بقوسه ضربة شجَّهُ بها شجّةً منكرة. وأسلم حمزة يومئذ، وعرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز. وأن حمزة سيمنعه. فكفوا عن بعض ما ينالونه منه من الأذى.

إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

ثم أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وازداد الإِسلام عزّاً ولإِسلامه قصة عجيبة في المطولات.

الخروج من دار الأرقم

كان ﷺ يجتمع بأصحابه في دار الأرقم بن أبي الأرقم بالصفا مستخفين. وما كانوا يصلون ظاهراً حتى أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فما زال يلتمس من النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يخرج بهم فخرجوا في صفين في أحدهما حمزة، وفي الآخر عمر حتى دخلوا المسجد. فنظرت إليهم قريش فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها.

رجوع بعض المهاجرين من الحبشة

ثم بلغ أهل الحبشة أن أهل مكة أسلموا. فعاد منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً. حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركباً فسألوهم عن الخبر، فأخبروهم باستمرار قريش على عداوته ﷺ وكفرهم به. فندموا ثم دخلوا بجوار.

الدرس التاسع

إجتماع قريش على منابذة بني هاشم والمطلب

إجتمعت قريش على قتل رسول الله ﷺ فحالت بنو هاشم وبنو المطلب بينهم وبين ما يريدون من ذلك. ورأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا من الحبشة بلداً آمناً. وأن الإِسلام يفشو في القبائل. وأن حمزة وعمر قد أسلما. وأنه إن بقي رسول الله وقومه بين أظهرهم لم يأمنوا أن يزداد الإِسلام انتشاراً بينهم؛ فاجتمع رأيهم على منابذة بني هاشم والمطلب فنابذوهم؛ واشتد أذاهم على المسلمين.

إشتداد حنق قريش برجوع عمرو بن العاص خائباً من الحبشة

كانت قريش قد أرسلت عمرو بن العاص السهمي، وعمارة بن الوليد المخزومي إلى النجاشي بالهدايا ليسلِّم إليهم المسلمين؛ فيقتلوهم ويفتنوهم عن دينهم. فأبى عليهم النجاشي، ورجع عمرو خائباً. فاشتد حنق قريش وعظم غيظهم.

إجماعهم على قتل رسول الله ﷺ علانية

فأجمع رأيهم على قتل رسول الله ﷺ علانية.

جمع أبي طالب بني هاشم والمطلب ودخولهم الشعب

فلمَّا رأَى ذلك أبو طالب جمع بني هاشم والمطلب مؤمنهم وكافرهم وأمرهم أن يدخلوا برسول الله ﷺ الشعب ويمنعوه ففعلوا. وذلك حين كان عمره ﷺ ستّاً وأربعين سنة.

كتابة الصحيفة

فلمَّا علمت قريش بذلك أجمعوا على حصرهم والتضييق عليهم، وأن لا يتركوا داخلاً يدخل عليهم بطعام ولا غيره. وكتبوا بينهم صحيفة أن لا يقبلوا لهم صلحاً أبداً، ولا تأخذهم رأفة حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل! ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم ولا يبتاعوا منهم شيئاً. وعلقوا تلك الصحيفة بالكعبة، فلقي بنو هاشم وبنو المطلب من ذلك أشد البؤس والأذى، وأنشد أبو طالب قصيدته البائية وأولها:

ألا أبلغا عني على ذات بيننا ... لؤياً وخصاً من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... نبيّاً كموسى خط في أول الكتب

... إلخ القصيدة.

وأنشأ غيرها من القصائد في ذلك.

حال المسلمين حينذاك

صار المسلمون في ذلك الحين فرقاً. فريق منهم محصور مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وقومه بالشعب، وهم مسلمو بني هاشم والمطلب. وفريق في أيدي المشركين يعذبونه ويفتنونه. وفريق طريد عن وطنه بالحبشة. وفريق بين ظهراني قومه آمن على نفسه بهم.

الهجرة الثانية إلى الحبشة

لما دخل رسول الله ﷺ الشعب أمر المسلمين بالهجرة إلى الحبشة، فهاجر من قَدِر على ذلك، وهذه هي الهجرة الثانية.

حال بني هاشم والمطلب في الشعب

مكث بنو هاشم في الشعب ثلاث سنين في أشد ما يكون من البلاء، وضيق العيش، وانقطاع الأسباب. وولد فيه عبد الله بن عباس. وكان أبو طالب كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عَرف مضجعه. فكان يقيمه ليلاً ويضجع ابنه عليّاً مكانه!

آية الله في الصحيفة

مكث بنو هاشم محصورين في الشعب ثلاث سنين،

وهم في أشد ما يكون من البلاء وضيق العيش. ثم أطلع الله نبيه على أن الأرضة قد لحستْ جميع ما كان في الصحيفة من ظلم وقطيعة رحمَ، ولم يبق بها إلاَّ إسم الله. فأخبر عمه أبا طالب بذلك فقال له: أربُّك أخبرك بهذا الخبر؟ قال: نعم. قال: والثواقب ما حدثتني كذباً. فانطلق في عصابة بني هاشم والمطلب، وقد لبسوا أحسن ثيابهم، وتجملوا حتى أتوا المسجد. فلما رأتهم قريش ظنوا أنهم قد خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله ﷺ للقتل. فتكلَّم معهم أبو طالب، ولم يبد لهم ما عنده من خبر الصحيفة؛ ولكن قال لهم: جرت أمور بيننا وبينكم فأتوا بصحيفتكم التي فيها مواثيقكم؛ فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح! وإنما قال لهم ذلك لأنه خشي أن يخبرهم فلا يأتوا بالصحيفة ويكتموها! فأتوا بصحيفتهم لا يشكون أن رسول الله ﷺ سيدفع إليهم. وقالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا عمّا أحدثتم علينا وعلى أنفسكم. فقال أبو طالب: إنما أتيتكم في أمر نصف بيننا وبينكم.. إن ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني قط أن الله قد سلَّط على صحيفتكم التي كتبتم الأرضة؛ فلحست كل ما فيها من جورٍ أو ظلمٍ أو قطيعة رحم، وأبقت كلما ذكر الله به! قال أبو طالب: فإن كان الحديث كما يقول فأفيقوا. وإن لم ترجعوا فوالله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا. وإن كان الذي يقول باطلاً دفعنا إليكم صاحبنا فقتلتم أو

استحييتم! فقالوا: أنصفتنا، ففتحوا الصحيفة فوجدوا الأمر كما أخبر به الصادق المصدوق. فلما رأت قريش ذلك افترق ملأهم. فقال قوم منهم: هذا سحر ابن أخيك. وندم بعضهم وقالوا: هذا بغي منا على إخواننا، وظلم لهم. وخطبهم أبو طالب حينئذ وأنَّبهم على ظلمهم وبغيهم. وقام فدخل بين أستار الكعبة ودعا الله واستنصر به. ثم انصرفوا إلى الشعب.

الدرس العاشر

نقض الصحيفة وخروج بني هاشم والمطلب من الشعب

فعند ذلك مشى خمسة من قريش في نقض الصحيفة، ولقي بعضهم بعضاً وتواعدوا بينهم وتعاقدوا على نقضها. وهم: هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث العامري من بني عامر بن لؤي. وهو أخو نضلة بن هاشم لأمه. وزهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي. وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب. والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف. وأبو البختري ابن هشام الأسدي. وزمعة بن الأسود بن المطلب الأسدي، فاجتمعوا بالحجون ليلاً وتعاهدوا على نقضها؛ فلمّا أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهير بن أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعاً، ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام، ونشرب الشراب، ونلبس الثياب.. وبنو هاشم هلْكى لا يبايعون ولا يُبْتاع منهم؟! والله لا أقعد حتى تُشقَّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة! قال: أبو جهل، وكان في ناحية المسجد كذبت.. والله لا تُشق. قال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب.. ما رضينا كتابها حين كتبت! قال أبو البختري:

صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرَّ به، وقال هشام بن عمرو والمطعم نحو ذلك. فقال أبو جهل: هذا أمر قُضي بليلٍ. وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة فشقها. ثم خرجواً إلى بني هاشم والمطلب فأمروهم بالخروج إلى مساكنهم ففعلوا. وأنشأ أبو طالب قصيدته الدالية يخاطب بها مسلمي الحبشة، ويخبرهم بما صنع الله لهم من نقض الصحيفة وأولها:

الأهل أتى بحرَّينا صنع ربنا على نأيهم والله بالناس أرود

وفد الحبشة

ثم وفد على رسول الله ﷺ وفد من الحبشة.. وهم نحو من عشرين رجلاً حين سمعوا بخبره من المهاجرين إليهم؛ فوجدوه ﷺ بالمسجد، فجلسوا إليه وسألوه وكلَّموه. ورجال قريش حول الكعبة ينظرون إليهم. ودعاهم رسول الله ﷺ إلى الله، وتلا عليهم القرآن؛ فلَّما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع. ثم استجابوا وآمنوا، فاعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا: خيَّبكم الله من ركب بعثكم مَنْ وراءكم مِنْ أهل دينكم ترتادون فلم تطمئن مجالسكم حتى آمنتم به. فقالوا: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين. ونزل فيهم قول الله تعالى: ﴿وإذا سمعوا ما أُنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ الآية.

مرض أبي طالب ووفاته

لم يلبث أبو طالب بعد خروجهم من الشعب أن مرض واشتد به المرض. فلّما علمت قريش بذلك قال بعضهم لبعض: إن حمزة وعمر قد أسلما، وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها، فانطلقوا بنا إلى أبي طالب فليأخذ لنا على ابن أخيه وليعطه منا. فوالله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا! فمشى إليه أشرافهم. منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة العبشميان. وأبو سفيان ابن حرب العبشمي الأموي. وأمية بن خلف الجمحي. فاستأذنوا على أبي طالب فأذن لهم، فكلّموه في شأن رسول الله ﷺ فبعثوا إلى رسول الله ﷺ فجاء. فكلّموه فأبى أن يعطيهم غير الحق فافترقوا. ولم يلبث أبو طالب أن مات. فاشتد الحزن على رسول الله ﷺ، ونالت قريش منه من الأذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، وكان له عضداً وحرزاً في أمره وَمَنعة وناصراً على قومه. وكانت وفاته سنة عشر من النبوة.

موت خديجة رضي الله عنها

ثم لم تلبث خديجة رضي الله عنها أن ماتت، فاشتد حزن رسول الله ﷺ عليها. وكانت وزير صدق له على الإسلام.. واسته بمالها، وكانت تسليه وتصبره وتجلو الحزن عن قلبه؛ لصدق إيمانها وقوة يقينها. فسمّى رسول الله ﷺ ذلك العام عام الحزن، ولزم بيته، وأقلّ الخروج منه. وكانت أفضل أزواجه رضي الله عنها.

الدرس الحادي عشر

خروج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر

ثم خرج رسول الله ﷺ بعد وفاة أبي طالب في شوال سنة عشر من النبوة وحده. وقيل معه مولاه زيد بن حارثة.. فلمَّا انتهى إلى الطائف أتى سادة ثقيف، فدعاهم إلى الله. وكلَّمهم بما جاءهم له من نصرته على الإِسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه، فردوا عليه أقبح رد فأمرهم إذ لم ينصروه أن يكتموا عليه. فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم.. يسبونه ويصيحون به ويرمونه بالحجارة. حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة العبشميين؛ فمكث بالطائف عشرة أيام، وقيل أربعين يوماً يدعوهم إلى الله، ولم يدع أحداً منهم إلاّ كلَّمه. فلم يستجب له أحد منهم. ثم انصرف إلى مكة المكرمة.

إنصرافه ﷺ من الطائف

ثم انصرف من الطائف إلى مكة محزوناً، ودعا عند ذاك بالدعاء المشهور: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي... إلى آخره» فأرسل ربه إليه ملك

الجبال يستأمره أن يطبق على أهل مكة الأخشبين! فقال: بل أستأني بهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده ولا يشرك به شيئاً.

إيمان الجن به ﷺ

حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي ويقرأ القرآن. فمر به نفر من الجن، فأسلموا! وقد ذكر الله قصتهم في قوله تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن... - إلى قوله - ويُجِرْكُم من عذاب أليم﴾. وقوله تعالى: ﴿قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن...﴾ إلى آخر الآيات.

عوده ﷺ إلى مكة

ثم عاد إلى مكة، ودخل في جوار المطعم بن عدي النوفلي من بني عبد مناف. وقريش على أشد ما كانت من خلافه وفراق دينه إلاّ قليلاً منهم.

الإسراء والمعراج وفرض الصلوات الخمس

ثم أسرىٰ الله به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السمٰوات العلى. وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات في اليوم والليلة، وعاد فأخبر

الناس بذلك. فمن بين مصدِّق ومكذِّب، وارتد بعض من كان قد أسلم. وازداد المؤمنون الصادقون إيماناً.

عَرْضُ رسول الله ﷺ نفسه على القبائل

كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب.. يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يُصدِّقوه ويمنعوه حتى يُبلِّغ رسالات ربه. فعرض نفسه على كندة فأبوا عليه. ثم على كلب فأبوا. ثم على بني حنيفة فلم يكن أحد من العرب أقبح رداً عليه منهم! ولذلك ورد شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف. وورد أبغض الأحياء إلى رسول الله ﷺ بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف. وقد كان لهم في مقاومة الدين وتبديله أسوأ الأثر (والعياذ بالله). ثم عرض نفسه على بني عامر بن صعصعة. وبني عبس وبني سليم وبني محارب وبني فزارة وبني نصر وبني مرة وعذرة، وغيرهم من قبائل نجد فأبوا عليه. ثم على بني شيبان وغسان، ثم الحضارمة فردوا عليه وأبوا!. فكان رسول الله ﷺ على أمره ذلك كلّما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل إلى الله، وإلى الإِسلام ويعرض عليهم نفسه. وما جاء به من الهدى والرحمة. لا يسمع بقادم من العرب يقدم له إسم وشرف إلاّ تصدى له فدعاه إلى الله، وعرض عليه ما عنده.

اشتداد البلاء بالمؤمنين

زاد البلاء بالمؤمنين شدة، وطالت عليهم أيامه. وبلغ المشركون من ظلمهم الغاية التي لا فوقها. فهم بين طريد ومضطهد، ومفتون ومعذب ومستخفف يتخوَّف الإِيقاع ليلاً ونهاراً. فلمّا اشتدت بهم حلقات البلاء أذن الله بنصرهم بإسلام الأنصار.

اجتماعه ﷺ بالخزرج

لمّا أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه، وإنجاز موعده له، وتفريج كرب المسلمين وما هم فيه. خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار؛ فعرض نفسه على قبائل العرب ـ كما كان يصنع في كل موسم ـ فبينا هو عند العقبة إذ لقي رهطاً من الخزرج. . أراد الله بهم خيراً وهم ستة نفر. فدعاهم إلى الله. وكانوا قد سمعوا بشائره من يهود المدينة. فآمنوا وصدَّقوا وانصرفوا إلى قومهم. فلّما قدموا المدينة ذكروا لهم رسول الله ﷺ، ودعوهم إلى الإِسلام حتى فشا فيهم. فلم تبق دار من دور الأنصار إلاً وفيها ذِكْرٌ لرسول الله ﷺ.

الدرس الثاني عشر

بيعة العقبة الأولى

ثم وافى الموسم القابل منهم إثني عشر رجلاً. تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس. فواعدوا رسول الله ﷺ إلى العقبة بمنى. قال عبادة بن الصامت: كنت فيمن حضر العقبة الأولى، وكنا إثني عشر رجلاً.. فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء. وذلك قبل أن يفرض علينا الحرب. على أن لا نشرك بالله شيئاً، ولا نسرق، ولا نزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا، ولا نعصيه في معروف، فإن وفيتم فلكم الجنَّة. وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عزَّ وجلَّ إن شاء غفر، وإن شاء عذَّب.

إرساله ﷺ مصعب بن عمير إلى المدينة

فلمّا انصرف القوم بعث رسول الله ﷺ معهم مصعب بن عمير الداري من بني عبد الدار، وأمره أن يُقْرِئهم القرآن، ويُعلِّمهم الإسلام، ويفقهم في الدين. فكان مصعب بالمدينة يُسمَّى المقرىء! فنزل على أسعد بن زرارة الأوسي، فأسلم على يده أسيد بن حضير، وسعد

بن معاذ سيد الأوس، وأسلم بنو عبد الأشهل في ليلة واحدة. وأقام مصعب يدعو الناس إلى الإِسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلاّ وفيها رجال ونساء مسلمون؛ حتى جاء موسم الحج فخرج مع حجاج الأنصار إلى مكة المكرمة فأخبر رسول الله ﷺ فسرَّه بذلك.

بيعة العقبة الثانية على حرب الأسود والأحمر

ثم إنه خرج إلى موسم الحج من خرج ممن قد أسلم من الأنصار مع حجاج قومهم من أهل الشرك، حتى قدموا مكة المكرمة. فسألوا عن رسول الله ﷺ حتى لقوه بالمسجد وعنده عمه العباس بن عبد المطلب، فتعرفوا إليه، وواعدوه العقبة من أوسط أيام التشريق. وأمرهم رسول الله ﷺ أن يأتوا بليل. وأن لا ينبهوا نائماً ولا ينتظروا غائباً في ليلة اليوم الذي يكون فيه النفر الأول. فخرج رسول الله ﷺ لموعدهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وعليّ وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم. فلما بلغوا الموضع وهو الشعب الأيمن للمنحدر عن منى من أسفل العقبة أقام العباس عليّاً على فم الشعب عيناً له، وأبا بكر على الطريق الآخر، ثم خرج الأنصار بعد هدأة من الليل يتسلل الرجل.. الرجلان مستخفين. حتى اجتمعوا عند رسول الله ﷺ وهم ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان. فتكلَّم العباس رضي الله عنه فقال: يا معشر

الخزرج إن محمداً منا حيث قد علمتم. وقد منعناه من قومنا ممن ليس هو على مثل رأينا. وهو في عز ومنعة من قومه في بلده. وإنه قد أبى إلاً الانحياز إليكم، واللحوق بكم. فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك. وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه في عز ومنعة من قومه وبلده. فقال الأنصار له: قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله.. وخذ لنفسك وربك ما أحببت. وقال البراء بن معرور الأنصاري: والله لو كان في أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه. ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله ﷺ. فتكلم رسول الله وتلا قوله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً وأجنبني وبني أن نعبد الأصنام...﴾ إلى آخر الآيات. فخشع القوم ودعاهم إلى الله؛ فقام العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري، وأراد أن يؤكد عقد الأمر ويشده فقال: يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم. قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبةٌ وأشرافكم قتلٌ اسلمتموه فمن الآن. فإنه والله خزي الدنيا والآخرة إن فعلتم! وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال وقتل

الأشراف، فخذوه فهو والله خير الدينا والآخرة. قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فقال الأنصار لرسول الله ﷺ: خذ لنفسك ما شئت، واشترط لربك ما شئت! فقال: (اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، ولنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم).. فقال: ابن رواحة: فإذا فعلنا فما لنا؟ فقال ﷺ: (لكم الجنة ورضوان الله) قالوا: ربح البيع.. لا نقيل ولا نستقيل. وقال البراء بن معرور: والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا أي نساءنا وأنفسنا. فنحن والله أهل الحرب والحلقة ورثناها كابراً عن كابرٍ. ثم بايعوه ﷺ. فعند ذلك قال لهم العباس رضي الله عنه: عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم. وعهد الله مع عهدكم. في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام. يد الله فوق أيديكم. لتجدن في نصره وتشدن أزره. قالوا جميعاً: نعم. قال العباس: اللهم إنك سامع شاهد. وإن ابن أخي قد استرعاهم ذمته، واستحفظهم نفسه. اللهم كن لابن أخي شهيداً، ثم قال رسول الله ﷺ: (أخرجوا لي إثني عشر نقيباً) فأخرجوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس على كل قبيلة نقيب. فقال لهم: (أنتم كفلاء على غيركم، وأنا كفيل على قومي، يعني المهاجرين).

الدرس الثالث عشر

عِلْمُ قريش بشأن البيعة

ثم إن الخبر بالبيعة نمىٰ إلى قريش. فغدا أجلَّتهم وأشرافهم إلى منازل الخزرج، فقالوا لهم: إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا ـ يعنون رسول الله ﷺ ـ تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا. وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينه منكم. فانبعث من هناك من مشركي الخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شيء وما علمناه. وقد صدقوا فيما قالوا. فإنهم لم يعلموا بالبيعة فرجعت قريش.

عِلْمُ قريش بحقيقة الأمر

ثم إن قريشاً بحثوا عن أمر البيعة فوجدوه قد كان. فخرجوا في طلب الأنصار فوجدوهم قد أبعدوا. وأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو الأنصاريين. فأما المنذر فهرب فأعجزهم. وأما سعد فأخذوه وربطوا يده إلى عنقه بنسعة. وأقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجرون شعره، ويفعلون به الأفاعيل! ثم إن جبير بن مطعم، والحارث بن أمية خلَّصاه منهم لأنه كان يجير لهما

تجارتهما. فرجع فإذا قومه قد أزمعوا الرجوع لاستنقاذه. فلمّا طلع عليهم عادوا فانصرفوا إلى المدينة.

الإخاء بين المؤمنين قبل الهجرة

ثم آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين قبل الهجرة، فآخى بين أبي بكر وعمر، وبين حمزة وزيد بن حارثة.. كما في الصحيح، وبين الزبير وابن مسعود كما أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والحاكم في المستدرك، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف. وآخى أيضاً بين غيرهم. ثم آخى بين عليٍّ ونفسه. وقال له: (أما ترضى أن أكون أخاك؟) قال: بلىٰ يا رسول الله رضيت. قال: (فأنت أخي في الدنيا والآخرة).

الفتنة الثانية واشتداد الإيذاء

واشتد أذى قريش للمسلمين بعد بيعة العقبة. وأقبلوا عليهم يفتنونهم ويؤذونهم أشد الأذى. فشكا المسلمون إلى رسول الله ﷺ ما يلقونه منهم. فأذن لهم في الهجرة إلى المدينة.

هجرة المسلمين

أمر رسول الله ﷺ أصحابه الذين معه بمكة المكرمة بالهجرة، والخروج إلى المدينة. واللحوق بإخوانهم من

الأنصار. وقال لهم: (إن الله قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون فيها)؛ فأخذ المسلمون يهاجرون مستخفين. وقدموا المدينة فنزلوا على الأنصار في دورهم. فأكرموهم وواسوهم وشاركوهم في الأموال. ولم يتخلف عن الهجرة إلاّ من كان محبوساً من المسلمين، أو عاجزاً عن الخروج. ومكث رسول الله ﷺ بمكة ينتظر الإِذن له من الله في الهجرة، ومعه علي وأبو بكر رضي الله عنهما.

إجتماع قريش على المكربة

فلمّا رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم. ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ إليهم. وعرفوا أنه قد أجمع أن يلحق بهم لحربهم؛ فاجتمعوا له في دار الندوة، وأوعبت قريش في اجتماعها. حتى سمِّي ذلك اليوم بيوم الزحمة. وحضر معهم الشيطان في صورة شيخ نجدي، واجتمع أشراف قريش من كل قبيلة منهم إلاّ بني هاشم والمطلب، فلم يحضر أحد منهم أمرهم. وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك.. ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

الدرس الرابع عشر

تشاورهم في شأنه ﷺ

فلمّا اجتمعوا قال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل - يعنون رسول الله ﷺ قد كان من أمره ما قد رأيتم. فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن تبعه من غيرنا؛ فأجمعوا فيه رأياً. فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد، واغلقوا عليه باباً حتى يموت!. فقال الشيخ النجدي: ما هذا برأي ليثبن أصحابه بكم فينتزعونه منكم. فقال قائل آخر: اخرجوه من بين أظهرنا وانفوه من بلادنا. فقال الشيخ النجدي: ما هذا برأي.. ألم تروا إلى حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال.. إذاً يحل بحيٍّ من أحياء العرب فيتابعوه ثم يحاربكم بهم.. أديروا رأياً غير هذا. فقال أبو جهل: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم بعد عليه. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟! قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً وسيطاً فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدون إليه؛ فيضربونه بها ضربة رجل واحد؛ فيقتلونه فنستريح منه.. ويتفرق دمه في القبائل؛ فلا يقدر بنو هاشم على حرب قومهم جميعاً فنعطيهم الدية! فقال

الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل.. هذا الرأي! فتفرقوا على ذلك. فأتى جبريل رسول الله ﷺ فقال له: لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه.

إحاطتهم بدار رسول الله ﷺ

فلمّا كان العتمة من الليل اجتمعوا على باب رسول الله ﷺ يرصدونه متى ينام؛ فيثبون عليه. قيل كانوا مائة رجل! وقيل أقل من ذلك. وفيهم الحكم بن أبي العاص الأموي أبو مروان الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون. وعقبة بن أبي معيط الأموي أبو الوليد بن عقبة الفاسق. والنضر بن الحارث العبدري. وطعيمة بن عدي. وأمية بن خلف الجمحي. وزمعة بن الأسود. وأبو لهب. وأبو جهل. وعمرو بن العاص. ونبيه ومنبه ابني الحجاج. فلمّا رأى رسول الله ﷺ مكانهم. قال لعليٍّ بن أبي طالب: (نم على فراشي، واتشح ببردي الأخضر، فنم فيه فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم). ووصّاه بحفظ ذمته، وأداء أمانته ورد ودائعه، وأن يبتاع رواحل للفواطم فاطمة بنت محمد ﷺ وأمه فاطمة بنت أسد. وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب. ولمن هاجر معه من بني هاشم، وضعفاء المؤمنين. وإذا أبرمت ما أمرتك به كن على أهبة الهجرة إلى الله ورسوله.. وبقدوم كتابي عليك. وإذا جاء أبو بكر فوجهه خلفي،

وأخبره أني توجهت إلى ثور؛ فمره فليلحق بي وأرسل إليَّ بطعام. واستأجر لي دليلاً يدلني على طريق المدينة. واشتر لي راحلة.. ومضى رسول الله ﷺ، وأعمى الله أبصار الذين يرصدونه فلم يروه.

ما وقع للنبيِّ ﷺ وعليٍّ وأبي بكر تلك الليلة

أمّا رسول الله ﷺ فمضى في ظلمة الليل قاصداً غار ثور ليستخفي فيه. وأمّا أبو بكر فأتى عليّاً من وراء الدار؛ فلمّا رأى عليّاً ظنه رسول الله ﷺ. ولما عرفه سأله عنه فأخبره أنه لحق بغار ثور. وقال: إن كان لك حاجة فالحقه. فخرج أبو بكر مسرعاً فلحق رسول الله ﷺ في الطريق؛ فسمع رسول الله ﷺ حِسَّ أبي بكر في ظلمة الليل، فأسرع المشي. فخاف أبو بكر أن يشقَّ عليه فرفع صوته وتكلَّم فعرفه رسول الله ﷺ فقام حتى أتاه. فانطلقا حتى انتهيا إلى الغار مع الصبح فدخلاه. وأما عليٌّ فنام في فراش رسول الله ﷺ ليشغل المشركين عن طلب رسول الله ﷺ! فجاء إليهم رجل لم يكن معهم. فقال ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمداً. قال: خَيَّبكم الله! قد والله خرج محمدٌ عليكم وانطلق لحاجته! ثم جعلوا يطلعون من خصاص الباب فيرون عليّاً متشحاً ببرد رسول الله ﷺ فيقولون: والله إن هذا محمداً نائمٌ عليه برده! وجعلوا يرمون علياً فيتضور. ولم يتكلَّمْ ولم يتأوه

مخافة أن يعرفوه؛ فيلحقوا برسول الله، ولم يبرحوا حتى أصبحوا؛ فدخلوا عليه الدار. فقام عليٌ في وجوههم. فقالوا: والله لقد صدقنا الذي حدَّثنا! وقالوا له: أين صاحبك؟ فقال: لا أدري. أو رقيباً كنت عليه؟؟ أمرتموه بالخروج فخرج، فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد؛ فحبسوه ساعة ثم تركوه. ونجَّى الله رسوله من مكرهم.

الدرس الخامس عشر

طَلَبُ قريش رسول الله ﷺ

فلمّا أصبحت قريش تلك الليلة، ولم تظفر برسول الله ﷺ دعت بالقافة فقصوا أثره، وخرج الشبان بعصيهم وسيوفهم حتى وصلوا إلى الغار. وقد أرسل الله عنكبوتاً فنسجت على باب الغار! وحمامة فعشعشت وباضت عنده.. فقالوا: لو دخل محمد هذا الغار لهتك نسج العنكبوت، وكسر بيض الحمامة. فرجعوا عن الغار ولم يدخلوه وصرفهم الله.

مناداتهم بالجعالة لمن رده ﷺ

ثم إن قريشاً وقيل أبا جهل نادوا في الناس، وأرسلوا لأهل السواحل: إن من ردَّه ﷺ عليهم أو قتله فله مائة ناقة!

مكثه ﷺ في الغار

قال في الفصول المهمة وفي الدر المثور، مكث ﷺ هو وأبو بكر رضي الله عنه في الغار ثلاثة أيام.. يختلف إليهما بالطعام عامر بن فهيرة وأسماء بنت أبي بكر. وعليّ

يجهزهما فاشترى ثلاثة أباعر. واستأجر لهم دليلاً؛ فلمّا كان بعد الثلاث أمر رسول الله ﷺ أسماء بنت أبي بكر أن تأتي عليّاً فتخبره. فلمّا كان بعد مضي ساعة من الليلة الرابعة، جاء الدليل بالرَّواحل. فلمّا سمع النبي ﷺ رغاء الإِبل نزل من الغار هو وأبو بكر فارتحلا. والصحيح أنهما ركبا راحلتين كانتا لأبي بكر رضي الله عنه، فاشترى رسول الله ﷺ إحداهما منه، وهي القصوى على قول الواقدي، ويحيى الحسيني. وقيل الجدعاء قاله ابن اسحاق، وهو في رواية لابن حبان، وكان مع الدليل بعير له.

هجرته ﷺ إلى المدينة

لمّا جاءه ﷺ الدليل بالرواحل، وركب هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة.. سلك بهما أسفل مكة. ثم مضى بهما على الساحل؛ حتى عارض الطريق. فقدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الإِثنين.. حين اشتد الضحاء وكادت الشمس تعتدل.

إستقبال المسلمين بالمدينة له ﷺ

كان المسلمون بالمدينة يخرجون كل يوم إلى الطريق. ينتظرون وصول رسول الله ﷺ؛ حتى إذا تعالى النهار رجعوا؛ فانقلبوا يوماً بعد أن طال

انتظارهم. فلم يرعهم إلاّ الخبر بوصوله ﷺ. فثاروا إلى السلاح. واستقبله منهم زهاء خمسائة؛ فنزل بقباء وأقام بها ليالي. ثم سار إلى المدينة بعد وصول عليٍّ كرّم الله وجهه.

ما وقع لعليٍّ كرَّم الله وجهه بعده

أما عليٌّ كرَّم الله وجهه فمكث بمكة ليالي أدى فيها الودائع التي للناس عند رسول الله ﷺ. حتى جاءه كتاب رسول الله مع زيد بن حارثة وأبي رافع بالشخوص إليه. فابتاع ركائب، وقدم المدينة ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن، وجماعة من ضعفاء المؤمنين.. ورسول الله ﷺ بقباء.

رحيله ﷺ من قباء

رحل ﷺ من عوالي المدينة.. وهي ناحية قباء. فكان كلما مرَّ بدار من دور الأنصار تلقوه ودعوه إلى النزول عندهم، وكان يقول لهم: (دعوها ـ يعني ناقته ـ فإنها مأمورة). فلم تزل سائرة به حتى أتت منازل بني النجار بن مالك أخوال أبيه. فبركت على باب مسجده ﷺ، وهو إذ ذاك مربد، ونزل رسول الله ﷺ على أبي أيوب الأنصاري.

بناء مسجده.. ومساكنه ﷺ

فابتاع رسول الله ﷺ ذلك المربد، وشرع في بناء المسجد وعمل فيه هو والمسلمون بأيديهم. وفي بعض أيام بنائه قال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار)! وهذا الحديث من المتواترات. وهو من أعلام نبوته ﷺ فإنه تحقق ووقع بعد سبع وثلاثين سنة. وبنى حول المسجد بيوته.

عام الهجرة

كانت هجرة رسول الله ﷺ بعد ثلاث عشرة سنة من مبعثه. وهذا هو الأشهر. وقيل بعد عشر سنين، وقيل بعد خمس عشرة سنة.

الحوادث الواقعة في السنة الأولى للهجرة

فمنها بناؤه مسجده الشريف. وتجميعه ﷺ بأصحابه الجمعة في اليوم الذي ارتحل فيه من قباء. فصلاها في بني سالم بن عوف من الأنصار في بطن (وادٍ) لهم. وهي أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ. وخطب فيها خطبة بليغة. وفي هذه السنة بنى مسجد قباء. وفيها بنى رسول الله ﷺ بعائشة رضي الله عنها. وفيها زيد في صلاة الحضر ركعتان بعد مقدمه المدينة بشهر.

المؤاخاة

وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار. . بين تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار على المواساة والتوارث.

الموادعة

ووادع رسول الله ﷺ مَنْ بالمدينة من اليهود، وكتب بينه وبينهم كتاباً. وكانوا ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة. ثم نكثوا عهده وألَّبوا عليه الأحزاب من قريش وأهل نجد؛ فحاربهم وأجلاهم.

سرية حمزة رضي الله عنه

وعقد رسول الله ﷺ في هذه السنة في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض. وأمَّره على ثلاثين من المهاجرين؛ ليعترض عيرات قريش. فلقوهم وفيهم أبو جهل وهم ثلاثمائة؛ فكانت بينهم المراماة وحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني.

سرية عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف

ثم عقد لواء أبيض لعبيدة بن الحارث ـ رضي الله عنه ـ على رأس ثمانية أشهر من مهاجره. وأمره بالمسير إلى بطن رابغ في ستين مهاجرياً. فالتقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء؛ فكانت بينهم المراماة دون المسايفة. وانصرف بعضهم عن بعض. وكان على المشركين أبو سفيان بن حرب.. وقيل عكرمة بن أبي جهل في مائتين منهم.

سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

ثم عقد لواء أبيض على عشرين رجلاً مهاجرياً لسعد بن أبي وقاص الزهري يعترضون عيراً لقريش. وعُهِدَ إليه أنْ لا يجاوز الخرار من خم فسبقتهم العير.

وقيل إن هذه السرايا كلها كانت في السنة الثانية

السنة الثانية للهجرة

فيها صرف الله قبلة المسلمين من الشام إلى الكعبة في شعبان منها على رأس سبعة عشر شهراً من مقدمه المدينة. وقيل على رأس ستة عشر شهراً قبل بدر بشهرين، وفيها فُرِضَ صوم شهر رمضان. وفرضت زكاة الفطرة. وخرج فيها إلى المصلى لصلاة العيد، وحملت العنزة بين يديه، وكانت فيها غزوة بدر وغيرها على ما سيأتي، وتزوَّج عليٌّ فاطمة رضي الله عنهما.

غزوة الأبواء

غزا ﷺ بنفسه غزوة الأبواء، ويقال ودان أيضاً في صفر من السنة الثانية. وحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب، وكان لواؤه أبيض، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر من كنانة، ومعه المهاجرون فوادعته بنو ضمرة، ورجع ولم يلق كيداً وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

غزوة بواط

ثم غزا غزوة بواط في شهر ربيع الأول في مائتين من أصحابه. يعترض عيراً لقريش، ففاتته العير ورجع ولم

يلق كيداً. وبين بواط والمدينة أربعة برد من ناحية الشام، وهو من جبال جهينة.

غزوة بدر الأولى

ثم غزا في ربيع الأول أيضاً في طلب كرز بن جابر الفهري في المهاجرين. وكان قد أغار على سرح المدينة بالجماء، فطلبه حتى بلغ بدراً فلم يلحقه. وكان لواؤه أبيض بيد عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

غزوة ذات العشيرة

ثم غزا في جمادى الآخرة منها ذات العشيرة في مائتين من المهاجرين، وكان لواؤه أبيض بيد حمزة بن عبد المطلب. يعترضون عيراً لقريش ذاهبة إلى الشام؛ ففاتته ووادع بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة.. وفيها قال لعلي كرَّم الله وجهه ما قال. أخرج النسائي والطبري والحاكم في المستدرك عن عمار بن ياسر قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب رفيقين في غزوة ذات العشيرة من بطن ينبع، فلما نزلها رسول ﷺ أقام بها شهراً، فصالح فيها بني مدلج وحلفاءهم من ضمرة فوادعهم. فقال لي عليّ كرَّم الله وجهه: هل لك يا أبا اليقظان أن نأتي هؤلاء؟ نفر من بني مدلج يعملون في عين لهم فننظر كيف يعملون. فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة

ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعليّ فاضطجعنا في صور من النخل في دقعاء من التراب فنمنا. فوالله ما أيقظنا إلاّ رسول الله ﷺ يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء. فيومئذٍ قال رسول الله ﷺ لعليّ كرَّم الله وجهه: (ما لك يا أبا تراب؟) لما يرى عليه من التراب! ثم قال: (ألا أحدثكما بأشقى الناس، رجلين؟) قلنا: بلى يا رسول الله. قال: (أحيمر ثمود الذي عقر الناقة. والذي يضربك على هذه، ووضع يده على قرنه حتى يبل منها هذه وأخذ بلحيته).

سرية بطن نخلة

ثم بعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في رجب. في اثني عشر رجلاً من المهاجرين، وقيل ثمانية، وقيل سبعة. يترصدون عيراً لقريش؛ فقتلوا ابن الحضرمي، وأسروا نفرين منهم. واستاقوا الأموال والعير واقتسموها. وعزلوا الخمس فلم يأخذه منهم رسول ﷺ حتى نزل القرآن بذلك.

غزوة بدر الكبرى

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة بدر الكبرى. يعترض عير قريش وهي مقبلة من الشام. فيهم أبو سفيان بن حرب

في أربعين من قريش. فخرج رسول الله ﷺ لثلاث ليال خلون، وقيل لثمانٍ في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار؛ فكان من الأنصار مائتان وستون رجلاً. وبقيّتهم من المهاجرين. وكانت رايته بيد علي كرَّم الله وجهه. وراية الأنصار بيد سعد بن عبادة. وبعث رسول الله ﷺ عينين له يتجسسان خبر القوم، وحذر أبو سفيان فساحل بالعير. وأرسل إلى قريش يستنصرهم ليمنعوا عيرهم. فتجهزت قريش وأوعبت. فخرجوا في ألف وقيل تسعمائة وخمسين. ولم يخرج من بني هاشم أحد. فلمّا كانوا بمر الظهران صاح أبو جهل في قريش حتى عادوا فأخرجوهم معهم مستكرهين. وبلغ رسول الله ﷺ خروج قريش؛ فاستشار أصحابه فأحسنوا الرد عليه، وأجابوه إلى الجهاد. فلما نجا أبو سفيان بالعير أرسل إلى قريش أن ترجع فأبوا! ورجع بنو زهرة وبنو عدي. وأراد بنو هاشم الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال: لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع. وسار رسول الله ﷺ حتى نزل عشاء أدنى مياه بدر. ثم تقدم فجعل مياه بدر خلفه. وبعث عليّاً والزبير وسعداً في نفر يلتمسون الخبر، فوجدوا غلامين لقريش فأعلماهم بأن قريشاً قد نزلت قريباً منهم وراء الكثيب. وأنزل الله المطر تلك الليلة فكان على المشركين وابلاً منعهم من التقدم. وكان على المسلمين طلاً وطأ الأرض، وسقوا

الماء، وصنعوا الحياض، وصنعوا لرسول الله ﷺ عريشاً على تل مشرف على موضع المعركة. وأرى رسول الله ﷺ أصحابه مصارع قريش يقول: هذا مصرع فلان، هذا مصرع فلان. فما تعدى أحد منهم موضع إشارته! فلما طلع المشركون صباحاً وتراءى الجمعان قال: (اللهم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها تحاربك، وتكذب رسولك.. اللهم أنجز لي ما وعدتني. اللهم أنشدك عهدك ووعدك). ولما نزل قريش بعثوا عمير الجمحي فحزر أصحاب رسول الله ﷺ، وأخبر قريشاً بعدتهم، وخوَّفهم من شدتهم، ودعاهم إلى أن يرجعوا. فرام ذلك حكيم بن حزام وعتبة بن ربيعة، ومشى في الناس فعارضه أبو جهل في ذلك. وتزاحف الفريقان.. وعدل رسول الله ﷺ أصحابه. وخرج عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة. فقال رسول الله ﷺ: (يا بني هاشم قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله). فبرز إليهم عليّ وعبيدة بن الحارث وحمزة. فقتل عليّ قرنه الوليد. وقتل حمزة قرنه عتبة، وقيل شيبة! واختلف عبيدة وقرنه ضربتين. فكرّ عليّ وحمزة على قرن عبيدة فقتلاه، واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله، ومات بالصفراء مرجعهم من بدر. ونزل فيهم قول الله تعالى: «هذان خصمان اختصموا في ربهم». ثم حمي الوطيس واشتدت الحرب. ورسول الله

في العريش يناشد ربه. وسعد بن معاذ في قوم من الأنصار على باب العريش يحمونه. **وأخفق** رسول الله ﷺ ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع، وجاء نصر الله فهُزم المشركون، وقُتل منهم سبعون وأسر سبعون! ففادى بعضهم ومن على بعض. وكان لحمزة وعليّ رضي الله عنهما فيها أثر عظيم. ولم يُحفظ من أسماء المقتولين إلاّ سبعة وأربعون، وقيل اثنان وخمسون رجلاً قتل عليٌّ كرَّم الله وجهه فيهم مع الذين شرك في قتلهم أربعة وعشرين رجلاً. ولما انجلت الحرب، وجمعت الغنائم أمر رسول الله ﷺ بقتلى المشركين؛ فسحبوا إلى القليب وطم عليهم التراب. وانصرف إلى المدينة فلما نزل الصفراء قسّم الغنائم. ولما نزل عرق الظبية ضرب عنق عقبة بن أبي معيط. وقال: من للصبية يا محمد؟ قال النار! واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً ببدر وأرسل رسول الله ﷺ زيد بن حارثة بشيراً لأهل المدينة. وجاء رسول الله ﷺ فخرجوا يتلقونه ويهنئونه. وعزَّ الإِسلام، ودخل فيه من بقي من الأنصار، وعبد الله بن أُبي ومن معه من المنافقين ظاهراً. وكان دخوله ﷺ المدينة لثمان بقين من رمضان؛ فكانت غيبته عنها تسعة عشر يوماً.

غزوة الكدر

هذه الغزوة زعم ابن اسحاق أنها كانت في آخر رمضان بعد غزوة بدر.. أو أول شوال وأن رسول الله ﷺ لم يقم بالمدينة بعد رجوعه من غزوة بدر إلاّ سبع ليالٍ، ثم غزا بني سليم حتى بلغ ماء من مياههم يقال له الكدر. فأقام عليه ثلاث ليال. ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً واستاق نعماً ورعاء. وكان يحمل لواءه عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه. وأما الواقدي فقال: إن غزوة الكدر كانت في أول المحرم سنة ثلاث.

غزوة السويق

ولما رجع فل المشركين إلى مكة موتورين محزونين، نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء حتى يغزو محمداً ﷺ. فخرج في مائتي راكب حتى أتى العريض في طرف المدينة، وبات ليلة عند سلام بن مشكم اليهودي فسقاه الخمر وبطن له من خبر الناس. فلما أصبح قطع أصواراً من النخل: وقتل رجلاً من الأنصار وحليفاً له وكرَّ راجعاً. ونذر به ﷺ فخرج في طلبه وجدَّ أبو سفيان ومن معه في الهرب. وكانوا يلقون جرب السويق عن رواحلهم. يتخففون بذلك فنجوا ولم يدركهم المسلمون. وكانت في ذي الحجة بعد بدر بشهرين.

السنة الثالثة للهجرة

غزوة ذي أمر

ثم غزا رسول الله ﷺ نجداً يريد غطفان. وهي غزوة ذي أمر، ويقال لها غزوة أنمار. فأقام بنجد صفراً وأكثره. ثم رجع ولم يلق كيداً.

غزوة بحران

ثم خرج رسول الله ﷺ آخر ربيع الأول يريد قريشاً وبني سليم؛ حتى بلغ بحران معدناً بالحجاز من ناحية الفرع. فأقام بها شهر ربيع الآخر، وجمادى الأولى، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً.

قتل كعب بن الأشرف

وفيها سرىٰ النبيُّ ﷺ سرية إلى كعب بن الأشرف اليهودي، وهو من بني نبهان من طيء، وأمه يهودية. وكان يحرِّض على المسلمين ويشبب بنسائهم، وقدم على قريش فجعل يحرضهم وينشد الأشعار، ويبكي أصحاب القليب فأسرى له رسول الله ﷺ محمداً بن سلمة الأنصاري في

أربعة نفر منهم؛ فقتلوه في حصنه. قال الواقدي: إنها كانت في شهر ربيع الأول.

غزوة بني قينقاع

قد اختلف فيها أهل السِّير فقال الواقدي: كانت بين غزوة السويق وغزوة بحران. وقال بعضهم كانت في صفر من الثالثة. وكانوا من يهود، وادعهم رسول الله ﷺ مقدمه إلى المدينة. ثم أظهروا البغي والحسد وتهددوا رسول الله ﷺ بالحرب. فنبذ إليهم عهدهم، وسار إليهم ولواؤه مع حمزة بن عبد المطّلب، فحصرهم خمس عشرة ليلة ثم نزلوا على حكمه. فأراد قتلهم ثم طلبهم منه عبد الله بن أبيّ المنافق، فوهبهم له وأجلاهم رسول الله ﷺ، فلحقوا بخيبر. وغنم أموالهم فخمسها وقسَّمها بين المسلمين. وقال الواقدي إن صلاة عيد الأضحى شرعت بعدها وخرج بهم ﷺ إلى المصلى، فصلَّى بهم، وخطب ثم ضحًّى بشاتين وهي أول أضحية.

سرية القردة

قال الواقدي: كانت في جمادى الأولى، وذلك أن قريشاً خافت أن تسلك طريق الشام بعد غزوة بدر. وتعورت تجارتهم. وقالوا إنْ أقمنا بمكة أكلنا رؤوس أموالنا. فعزموا على أن يأخذوا طريق العراق من ناحية

نجد. فاستأجروا دليلاً وجهزوا أموالهم. فأغزى رسول الله ﷺ زيد بن حارثة فاعترضهم على ماء يقال له (القردة) من نجد، فظفر بالعير وهربت الرجال. وكان الخمس من الغنيمة عشرين ألفاً، وأسر دليل قريش وهو فرات بن حيان العجلي فأسلم!

مقتل ابن أبي الحقيق

هو سلام بن أبي الحقيق، أبو رافع اليهودي من خيبر. كان ممن حزَّب الأحزاب، وآذى رسول الله ﷺ، وبغى عليه. فبعث إليه رجالاً من الأنصار عليهم عبد الله بن عتيك، فساروا إليه إلى خيبر وهجموا عليه حصنه ليلاً فقتلوه، وكفى الله شره. وكان ذلك في هذه السنة.. وقال الواقدي كان ذلك في السنة الرابعة.

غزوة احد

لما رجع فل قريش من غزاة بدر، مشى بعضهم إلى بعض، وأجمعوا أن يجعلوا أرباح أموالهم لتجهيز جيش كثيف إلى رسول الله ﷺ. وكانت خمسين ألف دينار. فبعثوا عمرو بن العاص في نفر منهم إلى العرب يستنصرونهم على قتال رسول الله ﷺ. فألبَّوا منهم جمعاً وطاوعتهم على ذلك ثقيف، فأوعبوا وحملوا معهم نساءهم، وكانت ألويتهم ثلاثة: لواء لكنانة ولواء

للأحابيش؛ ولواء لقريش. فخرجوا في ثلاثة آلاف معهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير. فكتب العباس رضي الله عنه إلى النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بخبرهم. وقدم عمرو بن سالم الخزاعي حليف بني هاشم فأخبره خبرهم أيضاً. وكان مع قريش أبو عامر الفاسق، معه خمسون من الأوس، وكان كافراً. فلما مروا بالأبواء أشارت عليهم هند زوجة أبي سفيان بنبش قبر أم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فتشاوروا في ذلك، ثم خافوا أن تنبش بنو بكر وخزاعة موتاهم لما بينهم من الدماء، فتركوا ذلك. وأرسل رسول الله ﷺ عينين له فاعترضا قريشاً بالعقيق. وأتيا رسول الله فأخبراه خبرهم. وجاء المشركون فنزلوا بجمعهم أحد وأرسلوا خيلهم ترعى زروع المسلمين حتى أفنوها. وأرسل رسول الله ﷺ عمرو بن الجموح، فدخل في القوم وحزرهم، وجاء فأخبره بخبرهم. وكان مقدّم قريش يوم الخميس لخمس خلون من شوال. وكانت الواقعة يوم السبت لسبع من شوال. وباتت وجوه الأوس والخزرج ليلة الجمعة بباب النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم خوفاً من البيات. وحُرِست أقطار المدينة بالرجال. ورأى رسول الله ﷺ رؤيا تلك الليلة. واجتمع المسلمون فخطبهم فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني رأيت في منامي رؤيا رأيت كأني في درع حصينة، ورأيت كأن سيفى ذا الفقار انفصم من عند ظبته، ورأيت بقراً

تذبح، ورأيت كأني مردف كبشاً، فقال الناس: يا رسول الله فما أوَّلتها؟ قال: أما الدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها، وأما انفصام سيفي عند ظبته فمصيبة في نفسي! وفي رواية فقتل رجل من أهل بيتي، وأما البقر التي تذبح فقتلى من أصحابي! وأما أني مردف كبشاً فكبش الكتيبة نقتله إن شاء الله تعالى، وكان رأيه ﷺ أن لا يخرج من المدينة، وقال عبد الله بن أبي بذلك وخطب في ذلك، ووافق عليه أكابر أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، وكانوا قد شبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية فهي كالحصن، وقال حمزة وسعد بن عبادة والنعمان بن مالك، ورجال من أهل النبه والسن: لا يظن عدونا أنا كرهنا لقاءهم. وحلف حمزة لا يطعم طعاماً حتى يجالدهم بسيفه. وقال رجال أحبوا لقاء العدو وهم ممن أسف على ما فاته من بدر: أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أناجبنا عنهم. وقال النعمان بن مالك: أشهد أن البقر المذبح قتلى من أصحابك وأني منهم. فَلِم تحرمنا الجنة؟ فوالله الذي لا إله إلاَّ هو لأدخلنها. قال: بم؟ قال: إني أحب الله ورسوله، ولا أفر يوم الزحف. قال ﷺ صدقت. وقال: إياس بن أوس بنحو ذلك، وتتابع القائلون بالخروج على طلبه. حتى قال لهم رسول الله ﷺ أني أخاف عليكم الهزيمة أو الظفر بقتلكم. فلمّا أبوا إلاّ الخروج خطبهم رسول الله ﷺ ووعظهم، وأمرهم بالصبر؛ ففرح الناس

بذلك وكرهه بعضهم. وأمرهم بالتهيؤ للحرب. فلبسوا السلاح وجاءهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير، فأنبوهم على الإلحاح على رسول الله ﷺ فبينما هم على ذلك إذ خرج عليهم رسول الله ﷺ، وقد لبس سلاحه فندموا حينئذ وقالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدا لك. قال ما ينبغي لنبيٍّ إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه. ثم قال: انظروا ما أمرتكم به فاتبعوه أمضوا على اسم الله فلكم النصر ما صبرتم. ثم دعا بالألوية فدفع لواء المهاجرين إلى علي كرَّم الله وجهه ولواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر، ولواء الأوس إلى أسيد بن الحضير. ثم ركب فرسه وتقلَّد قوسه، وأخذ القناة بيده. وخرج وأمامه السعدان يعدوان، سعد بن معاذ، وسعد ابن عبادة.. فلما بلغ الشيخين عرض عسكره ورد من استصغره منهم، وأقبل ابن أبي فنزل ناحية. فجعل المنافقون وحلفاؤه من اليهود يوغرون صدره على النبيّ ﷺ ويقولون ترك رأيك، وأطاع الغلمان. وبات ليلة السبت بذلك المكان، ثم أصبح فمضى حتى انتهى إلى أرض بني عامر فصلَّى الصبح، وهو يرى المشركين، وانخزل ابن أبي بمن معه من ذلك المكان. ثم هيأ أصحابه ﷺ للحرب، فجعل أحداً خلف ظهره، واستقبل المدينة. وجعل جبل عينين عن يساره، وجعل عليه خمسين

رجلاً رماة مع عبد الله بن جبير. وقال لهم احموا لنا ظهورنا، فأنا نخاف أن نُؤْتى من ورائنا، والزموا مكانكم لا تبرحوا منه وإن رأيتمونا نهزمهم؛ حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم؛ وإن رأيتمونا نقتل فلا تعينونا ولا تدفعوا عنا.. اللهم إني أشهدك عليهم ارشقوا خيلهم بالنبل. وأقبل المشركون وقد صفوا صفوفهم. ثم قام رسول الله ﷺ فخطب الناس، ودنا القوم بعضهم من بعض، وجاء نسوة المشركين يضربن بالطبول والأكبار. ويحرضن المشركين فيهن هند بنت عتبة آكلة الأكباد، وبرز كبش الكتيبة طلحة بن أبي طلحة العبدري يطلب البراز؛ فبرز له علي كرَّم الله وجهه فضربه ففلق هامته حتى وصل السيف إلى لحيته؛ فسر رسول الله ﷺ وكبَّر وكبَّر المسلمون. وشد المسلمون على كتائب المشركين؛ حتى لم يبق لهم صف إلاً انتقض. ثم حمل لواء المشركين عثمان بن أبي طلحة العبدري، فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه بالسيف على كاهله، فمضى إلى مؤتزره حتى بدا سحره ورجع وهو يقول: أنا ابن ساقي الحجيج. ثم تداول بنو آل عبد الدار اللواء كلما حمله رجل منهم قتل؛ فانكشف المشركون مِنهزمين لا يلوون.. ونساؤهم يدعون بالويل والثبور بعد ضرب الطبول والفرح. ثم إن الرماة الذين على الجبل عصوا وتركوا الجبل، وقالوا: قد هزم الله العدو،

وخرجوا ينتهبون! ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير فلم يقبلوا وتركوه مع عشرة هناك. فرأى خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين خُلُوَ الجبل من الرجال، فكَرَّ على المسلمين من ورائهم! وقتل من بقي من الرماة بالجبل بعد أن قاتلوا ولم يشعر المسلمون إلاَّ بخيل المشركين تكبهم من ورائهم، واختلط المسلمون يضرب بعضهم بعضاً! وعاد المشركون للقتال لما رأوا خيلهم تجوس عسكر المسلمين. ثم صاح صائح أن محمداً قد قتل؛ فانهزم المسلمون. وثبت رسول الله ﷺ ومعه أربعة عشر رجلاً: سبعة من المهاجرين، وسبعة من الأنصار. وجعل رسول الله ﷺ يدعو المنهزمين فمضوا ثم ثابت الأنصار، وكرت واشتدت الحرب؛ ولكن مع اختلاط الفريقين وحامى كثير من الأنصار عن رسول الله ﷺ حتى قتلوا بين يديه. وأبلى منهم رجال بلاء حسناً، وترامت كتائب المشركين على رسول الله ﷺ يريدون قتله؛ فكان أصحابه يعترضونها بالقتال الشديد، وصمدت له كتيبة من بني كنانة.. فيها خمسون فارساً. فقال رسول الله ﷺ يا عليّ أكفنى هذه الكتيبة وهو راجل فصمد يضربها بالسيف حتى قَتل منهم عدة، وقال جبريل لرسول الله ﷺ يا محمد إن هذه للمواساة! لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى فقال رسول الله ﷺ وما يمنعه وهو مني، وأنا منه! فقال جبريل عليه السلام وأنا منكما. وسمع ذلك

اليوم صوت من قبل السماء ينادي مراراً لا سيف إلاّ ذو الفقار، ولا فتى إلا عليّ. وأصيب رسول الله ﷺ بشجاج، وقتل من المسلمين واحد وسبعون رجلاً وقيل واحد وثمانون رجلاً. منهم أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ ومثّلت به هند، وأخذت كبده تريد أكلها فلم تقدر على بلعها. وقال رسول الله ﷺ لما لفظتها لم يكن الله ليدخل شيئاً من حمزة النار! وقُتل من المشركين ثمانية وعشرون نفراً قتل علي كرَّم الله وجهه منهم ما اتفق عليه وما اختلف فيه اثني عشر منهم. ودامت الحرب إلى العصر. ثم انصرف المشركون وانحاز رسول الله ﷺ بعد ذلك إلى الجبل فيمن معه من أصحابه، ثم دفن الشهداء، وعاد إلى المدينة وقد كان لأناس من المهاجرين والأنصار في هذه الوقعة محاماة وجهاد تراجع في المطولات رضي الله عنهم وأرضاهم.

عزم المشركين على الرجوع إلى المدينة وموعد أبي سفيان لما انقضت الحرب انكفا المشركون، فظن المسلمون أنهم قصدوا المدينة لإِحراز الذراري والأموال بعدما قتلوا من قتلوا من الشهدا.. فقال رسول الله ﷺ لعليٍّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه أخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون؟ وماذا يريدون؟ فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل وامتطوا الإِبل فإنهم يريدون مكة. وإن ركبوا الخيل

وساقوا الإبل فهم يريدون المدينة. فو الذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرّن إليهم فيها ثم لأناجزنهم! قال عليٌ كرم الله وجهه فخرجتُ في آثارهم انظر ماذا يصنعون؟ فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل، ووجهوا مكة. ولما عزموا على الرجوع أشرف أبو سفيان على المسلمين ثم ناداهم: موعدكم الموسم ببدر! فقال النبيُّ ﷺ قولوا: نعم قد فعلنا قال: أبو سفيان فذلكم الموعد ثم انصرفوا.

غزوة حمراء الاسد

لما انصرف رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أُحد مساء يوم السبت لثمان في شهر شوال، بات على بابه وجوه الأنصار يحرسونه. وبات المسلمون يداوون جراحاتهم. فلمَّا صلَّى الصبح أمر بلالاً فنادى في الناس أن رسول الله ﷺ يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلاّ من شهد القتال بالأمس. فقال له عبد الله بن أبي: أركب معك؟ قال: لا. وقال المسلمون سمعاً وطاعة، وخرجوا على ما بهم من الجرح والخوف والتعب، فبلغ إلى حمراء الأسد على ثمانية أميال من المدينة. وكان المشركون قد نزلوا بالروحاء يتلاومون. وقد أزمعوا الرجوع لاستئصال المسلمين، وجاء معبد الخزاعي فأسلم وأمره رسول الله ﷺ أن يلحق بأبي سفيان فيخذله. فلحقه بالروحاء، ولم يعلم

بإسلامه فأخبره بمخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وخوفه فرجعوا ولقي أبو سفيان رجلاً من المشركين. فقال: هل لك أن تبلغ محمداً رسالة وأوقر لك راحلتك زبيباً؟ قال: نعم. قال: أبلغه أنا قد أجمعنا الكرة لنستأصله ونستأصل أصحابه. فلما بلغهم قوله قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم. وغاب في هذه الغزوة خمس ليال وفي هذه السنة ولد سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا، وسيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي رضي الله عنهما.

السنة الرابعة للهجرة

ثم دخلت السنة الرابعة فلمّا كان رأس المحرم منها بلغ رسول الله ﷺ أن طليحة وسلمة ابني خويلد من بني أسد قد سارا في قومهما ومن أطاعهما يدعونهم إلى حرب رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وعقد له لواءً وبعثه في مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار.. وقال: سر حتى تنزل بلاد أرض بني أسد من بلد نجد فأغر عليهم قبل أن تتلاقى جموعهم. فخرج فأغذَّ السير، ونكب عن سنن الطريق، وسبق الأخبار وانتهى إلى أدنى قطن، فأغار على سرحهم وبعض رعائهم وفرق أصحابه فأصابوا غنائم، وانحدروا بذلك إلى المدينة ولم يلق كيداً. وكسر الله بذلك شوكة بني أسد، ونقض ما أرادوا من الحرب.

سرية عبد الله بن أنيس

ثم سَرَّى عبد الله بن أنيس إلى عرنة إلى سفيان بن خالد الهذلي لخمس ليال خلون من المحرم، وكان سفيان قد جمع الجموع ليغزو رسول الله ﷺ فجاء عبد الله بن أنيس فقتله وتفرقت جموعه.

سرية بئر معونة

وكانت في صفر من هذه السنة قدم على رسول الله ﷺ البراء بن مالك أبو براء ملاعب الأسنة الكلابي، فأهدى له.. فلم يقبل منه. وعرض عليه الإِسلام فلم يسلم. ولم يبعد وقال: لو بعثت معي نفراً من أصحابك إلى قومي لرجوت أن يجيبوا دعوتك، ويتبعوا أمرك. فقال رسول الله ﷺ: (إني أخاف عليهم أهل نجد فقال أبو براء. أنا لهم جار، فبعث معه سبعين نفراً من الأنصار شَبَبَةً يسمّون القراء، وأمرٌ عليهم المنذر بن عمرو الساعدي؛ فلما نزلوا بئر معونة قدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله إلى عامر بن الطفيل؛ فوثب على حرام فقتله، واستصرخ عليهم بني عامر فابوا وقالوا: لا نخفر أبابراء. فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية ورعلاً وذكوانَ واستبطأ المسلمون رسولهم حرام بن ملحان، فاقبلوا فإذا بالقوم قد أحاطوا بهم فقاتلوا حتى قتلوا جميعاً. وقنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو على قتلتهم وحزن عليهم حزناً شديداً.

سرية الرجيع

وهي في صفر أيضاً من هذه السنة «قدم على رسول الله ﷺ رهط من عضل والقارة بني الهون بن خزيمة أخوة بني أسد فذكروا أن فيهم إسلاماً ورغبوا إليه أن يبعث معهم

من يفقههم في الدين؛ فبعث معهم عشرة رهط وأمرَّ عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي، فلما بلغوا الرجيع من بلاد هذيل استصرخوا عليهم هذيلاً. فلما غشيهم القوم نهضوا للقتال فأمنوهم ثم غدروا بهم، فقتلوا أربعة وأما ثلاثة فأسروهم فقتلوا واحداً في طريقهم إلى مكة، وباعوا الاثنين إلى قريش بمكة فقتلوهما صبراً ونجا منهم ثلاثة.

غزوة بني النضير

وكانت في شهر ربيع الأول - خرج إليهم ﷺ يستعينهم في دية قتيلين من بني كلاب قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ، وكان بنو النضير من يهود حلفاء بني عامر: فقالوا: نعم نعينك يا أبا القاسم، وخلا بعضهم ببعض وأزمعوا الغدر به ﷺ. وأتاه الخبر من السماء.. فقام وترك أصحابه جلوساً ورجع إلى المدينة. وانتظر اليهود عوده إليهم ليغدروا به! واستبطأه أصحابه فرجعوا إلى المدينة فأخبرهم بما عزمت عليه اليهود! وأرسل إليهم أن اخرجوا من بلدي، ولا تساكنوني بعدما هممتم به من الغدر.. فقبلوا ذلك. ثم نكثوا ودس إليهم عبد الله بن أبي، والمنافقون أنا معكم قتلتم أو أخرجتم فغروهم بذلك. ثم خذلوهم كرهاً وأسلموهم وحصرهم رسول الله ﷺ خمسة عشر يوماً وسأل فيهم ابن أبي فاجلاهم رسول الله إلى أذرعات على أن لهم ما حملت الإِبل؛

فجلوا وقسّم رسول الله ﷺ أموالهم بين المهاجرين الأولين خاصة، وأنزلت فيهم سورة الحشر.

غزوة بدر الموعد

وتُسمَّى غزوة (السويق) وكانت لهلال ذي القعدة من السنة الرابعة، خرج رسول الله ﷺ لموعده الذي واعده أبا سفيان في ألف وخمسائة وعشرة أفراس. وحمل لواءه عليّ كرّم الله وجهه حتى انتهى إلى بدر فأقام بها ثلاثة أيام ينتظر المشركين. وخرج أبو سفيان بالمشركين من مكة وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً.. فلما انتهوا إلى مر الظهران رجع بالناس. وقال إن العام عام جدب. وكان قد أرسل إلى رسول ﷺ نعيم بن مسعود الأشجعي يخوِّف المسلمين، وجعلوا له عشرين ناقة جعلاً فأسرع السير، وقدم المدينة وأرجف بجمع أبي سفيان وعدته وجمعه. فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده لآخرجن وإن لم يخرج معي أحد.. فأذهب الله الرعب عن المسلمين وخرجوا إلى بدر، ومكثوا هناك ثمانية أيام ثم رجعوا وعير أهل مكة أبا سفيان ومن معه.. وقالوا لهم: إنما خرجتم تشربون (السويق) وفي هذه السنة تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة رضي الله عنها، وولد سبط رسول الله ﷺ وريحانته وسيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي رضي الله عنهما.

السنة الخامسة للهجرة

ثم دخلت السنة الخامسة.. وفيها تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش.

غزوة ذات الرقاع

وفيها كانت غزوة ذات الرقاع في المحرم، بلغ رسول الله ﷺ أن أنماراً وثعلبة من قبائل نجد قد جمعوا له الجموع. فخرج في أربعمائة من أصحابه، وقيل سبعمائة حتى أتى محالهم، ولقي جمعاً من غطفان.. وتقارب الجمعان ولم يكن حرب، وصلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف، وغاب خمس عشرة ليلة ورجع ولم يلق كيداً.

غزوة دومة ذات الجندل

وهي موضع بينها وبين دمشق خمس ليال، وبينها وبين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة.. بلغ رسول الله ﷺ أن بها جمعاً يظلمون من مرَّ بهم وأنهم يريدون الدنو من المدينة، فخرج لخمس ليال بقيَّن من ربيع الأول، ومعه ألف من المسلمين.. فهجم على ماشيتهم

ورعاتهم فأصاب من أصاب، وهرب من هرب، وبث السرايا وفرقها. وبلغ تلك الجموع خبره فانذعروا وهربوا، ورجع إلى المدينة ولم يلق كيداً لعشر ليال بقين من ربيع الآخر. وفي تلك الغزوة وادع رسول الله ﷺ عيينة بن حصن سيد غطفان.

غزوة المريسيع

وكانت في شعبان من هذه السنة.. وسببها أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق من خزاعة سار في قومه ومن أطاعه من العرب، فألبَّهم على حرب رسول الله ﷺ وجمع الجموع، وأرسل عيناً ليأتيه بخبر رسول الله ﷺ فظفر رسول الله ﷺ به فقتله؛ ودعا المسلمين إلى حربهم فأسرعوا وتجهزوا، وخرج معه بشر من المنافقين كثير، وخرج لليلتين خلتا من شعبان يوم الاثنين، فبلغ خبره تلك الجموع فخافوا خوفاً شديداً.. ووافاهم فصف أصحابه فتراموا ساعة. ثم أمرهم فحملوا حملة رجل واحد، فأحاطوا بهم وأسروهم؛ فلم يفلت منهم أحد. وقتل منهم عشرة، ولم يقتل من المسلمين إلاَّ رجلٌ واحدٌ. وكانت الغنائم من الإِبل الفي بعير، ومن الشاء خمسة آلاف شاة. وكان السبي مائتي بيت، ثم افتدى الأسرى ورجع السبي إلى أهله وقسّم رسول الله ﷺ الغنائم بين المجاهدين، وتزوج ﷺ جويرية بنت الحارث سيد بني

المصطلق. وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم.

غزوة الخندق

وتُسمَّى غزوة الأحزاب لاجتماع أحزاب قريش وتهامة وأحزاب نجد على رسول الله ﷺ، وكانت في ذي القعدة من سنة خمس على أصح القولين. وقيل كانت سنة أربع.

سببها

وكان سببها أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين يوم أحد، وعلموا بميعاد أبي سفيان لغزو رسول الله ﷺ والمسلمين، وكانوا موغورين لما كان من إجلائه ﷺ بني النضير، قاموا - أي اليهود - في تحزيب الأحزاب فخرج منهم جماعة حتى قدموا مكة، ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا لهم: سنكون معكم حتى نستأصله، فسُرَّت قريش بذلك، وأجابتهم وسار اليهود إلى نجد فاستهووا غطفان من قيس، وتواعدوا على ذلك وأجمعوا عليه؛ فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن، ومرة وقائدها الحارث بن عوف المري، وقبائل من أشجع وقائدها مسعود بن رخيلة، وجاءت أسد وقائدها طليحة بن خويلد الأسدي، وبنو سليم وقائدهم سفيان بن عبد شمس وهو والد أبي الأعور السلمي صاحب معاوية.

فلمّا علم رسول الله ﷺ بأمرهم خندق على المدينة، وكان الذي أشار به سلمان الفارسي من الشيخين شامي المدينة بحرَّتها الشرقية إلى المذاد بطرف الحرة الغربية، ثم قطعه كل أربعين ذراعاً لعشرة رجال من أصحابه يحفرونها وسائر المدينة مشككة بالبنيان والنخيل. . فليس للعدو فيه منفذ. وعمل رسول الله ﷺ بيده ترغيباً للمسلمين ففرغوا من الخندق في ستة أيام، وقيل أكثر! وخرج رسول الله ﷺ بالمسلمين فعسكروا أمام جبل سلع. خلفهم الجبل وأمامهم الخندق، وجعلوا النساء والذراري في آطام المدينة. وما فرغوا من الخندق حتى وافت قريش وأحابيشهم ومن تابعهم من كنانة، وأهل تهامة وهم عشرة آلاف فنزلوا بمجتمع الأسيال من رومة. وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد؛ فنزلوا بذنب نقمى إلى جانب أحد. وخرج عدو الله حيي بن أخطب اليهودي النضيري، فجاء إلى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة، فدعاه إلى نقض العهد الذي بينه وبين رسول الله ﷺ ليجتمعوا على حربه فامتنع. ثم غدر ونقض. فعند ذلك اشتد البلاء وعظم الخوف، وصار العدو من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون الظنون، ونجم النفاق وهمت بنو سلمة بالفشل. وأرادت بنو حارثة الرجوع وقالوا: إن بيوتنا عورة ثم ثبتوا. و أقام المشركون نحواً من شهر، فلما اشتد البلاء على الناس

أرسل رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف المري ليرجعا بمن معهما من أهل نجد، ويعطيهم ثلث ثمار المدينة، فتراضوا على الصلح على ذلك، ثم بعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة فاستشارهما في ذلك فقالا: يا رسول الله إن كان الله أمرك بهذا أو أمر تحبه فسمعاً وطاعة، وإن كان شيء تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه: لقد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك وعبادة الأوثان، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلاّ قرى أو شرى.. فحين أكرمنا الله بالإسلام، وهدانا له وأعزنا بك.. نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلاّ السيف. فصوَّب رأيهما. وقال: والله ما أصنع ذلك إلاّ أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة. وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم. فرجع عيينة والحارث ولم يتم أمر الصلح.. وجعل المشركون يرسلون كل يوم كتيبة تشاغب المسلمين وتراميهم.. وبينهم الخندق والمسلمون على جانبه مما يلي المدينة، يقاتلون عنه ويحرسونه.

قصة الذين اقتحموا الخندق من المشركين

ثم إن فرساناً من المشركين قصدوا إلى مكان ضيق من الخندق، فضربوا خيولهم ونزوها حتى حميت وقفزت بهم الخندق، وجالت بهم خيلهم بين السبخة وسلع.

فلولا أنه خرج عليّ كرَّم الله وجهه في نفر من المسلمين إليهم فأخذوا عليهم الثغرة التي قفزوا منها لعظم الخطب بدخول الأحزاب منها. وكان في أولئك الفرسان عمرو بن عبدود الشجاع المشهور، فبارزه عليّ كرَّم الله وجهه فقتله. وانهزم الباقون وعادوا إلى جيش الأحزاب بعد أن قتل قائدهم عمرو بن عبدود، وفارسان آخران منهم.. وقد انكسرت لذلك قلوب المشركين وتخاذلوا. وقد أخرج الحاكم في المستدرك عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده. قال: قال رسول الله ﷺ لمبارزة عليّ بن أبي طالب لعمرو بن ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة. وجاء في خبر آخر أن رسول الله ﷺ قال ذلك اليوم حين برز إليه، برز الإِيمان كله إلى الشرك كله. وقال أبو بكر بن عياش لقد ضرب عليٌّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه ضربة ما كان في الإِسلام أيمن منها، ضربته عمراً يوم الخندق. ولقد ضُرِب عليٌّ ضربة ما كان في الإِسلام أشأم منها.. يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله. وقال جابر بن عبد الله: والله ما شبهت يوم الأحزاب قتل عليٌّ عمراً، وتخاذل المشركين بعده إلاّ بما قصه الله تعالى من قصة طالوت وجالوت في قوله؛ ﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت﴾. وروى الحاكم هذا القول عن يحي بن آدم وقد أخرج ابن مردويه أن ابن مسعود رضي الله عنه، كان يقرأ: وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وكان الله

قوياً عزيزاً. وملخص القصة عن الواقدي وابن إسحاق وابن عقبة. قالوا: حضر عمرو بن ود الخندق شاهراً نفسه معلماً مدلاً بشجاعته وبأسه. وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهري، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، ونوفل بن عبد الله بن مغيرة المخزوميون؛ فطافوا بخيولهم على الخندق اصعاداً وانحداراً يطلبون موضعاً ضيقاً يعبرونه. حتى وقفوا على أضيق موضع. فأكرهوا خيلهم على قفزة فقفزت بهم وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة، ورسول الله ﷺ جالس وأصحابه قيام على رأسه. فتقدم عمرو بن ود فدعا إلى البراز مراراً. فلم يقم إليه أحد. فلمّا أكثر قام عليٌّ كرّم الله وجهه فقال: أنا أبارزه يا رسول الله. فأمره بالجلوس، فجال عمرو بفرسه مقبلاً مدبراً، وجاءت عظماء الأحزاب فوقفت من وراء الخندق، ومدت أعناقها تنظر.. فلمّا رأى عمرو أن أحداً لا يجيبه قال:

وَلَقَدْ بحححتُ مِن الندا ء بجمعكم هَلْ مِنْ مِبارِز؟
ووقفتَ مُذجَبِن المشيعُ موقفَ القرنِ المناجِزْ
إنـي كـذلـك لـم أزلْ مُتسرعاً قِبَل الهزاهِزْ
إنَّ الشَجاعةَ في الفتى والجودُ مِنْ خَيرِ الغَرائِزْ

فقام عليّ كرَّم الله وجهه فقال: يا رسول الله ائذن لي في مبارزته! فقال: إنه عمرو. فقال وإن كان عمراً! فقال

أدنُ فَدَنا فقلَّده سيفه، وعممه بعمامته. وقال: امض لشأنك، فلمّا انصرف، قال: اللهم أعنه عليه. اللهم هذا أخي وابن عمي فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين». وقال: (إلهي أخذت عبيدة مني يوم بدر، وحمزة يوم أحد، وهذا أخي وابن عمي، فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، فمشى إليه عليٌ كرّم الله وجهه وهو يقول:

لا تعجلَنَّ فقدْ أتاك مجيبَ صوتِك غيرَ عاجِزْ
ذُونيَّةٍ وبَصيرةٍ يَرْجُو بِذاكَ نجاةَ فائِزْ
إنـي لآمـلُ أن أُقيمَ عليكَ نائحةَ الجنائِزْ
مِنْ ضَربةٍ فَوْهاء يَبْقَى ذِكْرَها عِندَ الهَزاهِزْ!

فلمّا رأى عمرو علياً كرَّم الله وجهه التمس منه أن يرجع، وقال له: إني لا أحب قتلك، فإن أباك كان صديقاً لي فقال له عليّ كرَّم الله وجهه: لكني أحبُّ أن اقتلك! فقال: يا بن أخي أرجع وراءك خير لك. فقال عليٌّ كرَّم الله وجهه: إنك كنت تقول لا يدعوك أحدٌ من قريش إلى إحدى ثلاث خصال إلاَّ أجبته ولو إلى واحدة منها. قال: أجل: فقال عليٌّ كرَّم الله وجهه فإني أدعوك إلى الإِسلام! قال: دع عنك هذه. قال: فإني أدعوك إلى أن ترجع بمن تبعك من قريش إلى مكة. قال: إذن تتحدث عني نساء قريش أن غلاماً خدعني! قال: فإني أدعوك إلى البراز!

فحمي عمرو، وقال: ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومها مني. ثم نزل فعقر فرسه وقيل ضرب وجهه، ففر وتجاولا فثارت لهما غبرة وارتهما عن العيون إلى أن سمع الناس التكبير عالياً من تحت الغبرة. فعلموا أن علياً قتله، وانجلت الغبرة عنهما وعليٌّ راكب صدره يحز رأسه. ثم حمل ضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن وهب على عليٍّ كرَّم الله وجهه فأقبل عليهما فولّيا هاربَيْن منه؛ فناوش عمر بن الخطاب ضرار بن الخطاب فحمل عليه ضرار ليطعنه؛ حتى إذا وجد عمر مس الرمح رفعه عنه. وقال إنها لنعمة مشكورة، فاحفظها يا ابن الخطاب! وقد وقع له نظير ذلك مع عمر في أحد[1]. ثم أقبل عليٌّ نحو رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل، وألقى رأس عمرو بن عبدود بين يديه، ووجه رسول الله ﷺ يتهلل وقال: هذا النصر أو أول النصر، وقام أبو بكر وعمر إلى عليٍّ فقبلاّ رأسه! وقال رسول ﷺ ذهبت ريحهم، ولا يغزوننا بعد اليوم ونحن نغزوهم إن شاء الله تعالى.

تمام غزوة الخندق وانهزام المشركين

ثم إن الله تعالى أوقع بينهم الفرقة والاختلاف،

---

(١) ليس ضرار المذكور أخا عمر بن الخطاب كما توهمه الحلبي ودحلان في سيرتيهما؛ وانما هو من بني فهر وما ذكراه وَهَم.

وأرسل عليهم الريح وجنوداً من الملائكة، فجعلت الريح تقوِّض خيامهم، وتكفيء قدروهم، وتقلع أطنابهم، وتضربهم بالحصباء. واشتد بردها عليهم والملائكة تزلزلهم؛ وتلقي في قلوبهم الرعب والخوف. فخرجوا تحت الليل هراباً إلى بلادهم! وأرسل رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان ليلاً ياتيه بخبرهم، فوجدهم على تلك الحال يترحلون سراعاً. فأصبح رسول الله ﷺ وقد رد الله عدوه بغيظه، لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً. وانصرف رسول الله ﷺ من غزوة الخندق يوم الأربعاء لسبع ليالٍ بقين من ذي القعدة، وكان قد أقام بالخندق قريباً من شهر على أثبت الأقوال[١].

غزوة بني قريظة

كانت بنو قريظة من اليهود قد حالفوا رسول الله ﷺ فلمّا جاء الأحزاب نقضوا عَهد رسول الله ﷺ، وغدروا به، وتعاهدوا مع المشركين على استئصاله واستئصال أصحابه. فأخلف الله ظنهم، وغزاهم رسول الله ﷺ بعد الخندق، فحصرهم في حصونهم حتى خرجوا على حكم سعد بن معاذ من الأوس. وكانوا حلفاءهم في الجاهلية. فحكم

(١) تنبيه: سبق أن غزوة الخندق كانت في ذي القعدة، والذي ذكروه أنها في شوال! وذلك باعتبار ابتدائها وما ذكرناه باعتبار آخرها.

بقتل رجالهم وأسر أبنائهم ونسائهم، فأنفذ الله حكمه فيهم وانتقم منهم. وكانت الغزوة في أواخر شهر ذي القعدة من السنة الخامسة وتوفي سعد بن معاذ رضي الله عنه بعدها.

السنة السادسة للهجرة

غزوة بني لحيان

قد تقدم قصة أصحاب الرجيع وغدر المشركين بهم، فكان ذلك سبباً لهذه الغزوة. خرج رسول الله ﷺ في جمادى الأولى، وقيل في غرة ربيع الأول بعد غزوة بني قريظة وورَّى بأنه يريد الشام؛ لئلا يحذروا! فخرج إليهم على طريق الشام، ثم عطف راجعاً إليهم، وأسرع حتى نزل بوادي غران. فوجدهم قد حذروا وتمنعوا برؤوس الجبال! فهبط عسفان من ناحية مكة، وأرسل أبا بكر رضي الله عنه في عشرة فوارس إلى كراع الغميم ليذعر قريشاً. ثم عاد إلى المدينة ولم يلق كيداً، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة.

سرية محمد بن مسلمة

ثم بعث محمد بن مسلمة إلى القرطاء.. بطن من بني بكر بن كلاب بموضع يُسمَّى (البكرات) بينه وبين المدينة سبع ليال في ثلاثين راكباً. فأغار عليهم وقتل نفراً منهم، وهرب سائرهم واستاق نعماً وشاءً، وقدم المدينة ومعه ثمامة بن أثال الحنفي أسيراً، فربط بسارية

من سواري المسجد. ثم أطلقه رسول الله ﷺ فأسلم!

سرية الغمر

وبعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن الأسدي في ربيع الأول، أو الآخر من السنة السادسة إلى (غمر مرزوق) وهو ماء لبني أسد في أربعين رجلاً فنذر به القوم فهربوا. فاستاقوا مائتي بعير، وقدموا بها المدينة ولم يلقوا كيداً.

سرية ذي القصة

وهو موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً من طريق الربذة. بعث رسول الله ﷺ في ربيع الأول محمد بن مسلمة الأنصاري ومعه عشرة رجال إليها إلى بني ثعلبة، وكانوا بها. فكمنوا للصحابة! فلما وردوا وكان الوقت ليلاً أحدق بهم المشركون، فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل عليهم المشركون، فقتلوهم وارتث محمد بن مسلمة ثم مرَّ به رجل من المسلمين. فاحتمله إلى المدينة.

سرية ذي القصة الثانية

لما أصاب بنو ثعلبة أصحاب محمد بن مسلمة ضروا وطمعوا فأجمعوا هم وانمارٌ على الإغارة على سرح المدينة، وجمعوا لذلك، وبعث رسول الله ﷺ في ربيع

الآخر أبا عبيدة بن الجراح في أربعين رجلاً إلى مصارعهم[1] آخذاً بثأر أصحاب السرية، وردعاً لهم عما هموا به من الغارة؛ فلما جاءهم هربوا فأصاب نعماً ورثة من متاعهم، وقدم به المدينة فخمّسه رسول الله ﷺ وقسّم ما بقي عليهم.

سرية الجموم

وفي شهر ربيع الآخر من سنة ست، بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى بني سليم، وهم بالجموم موضع ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة؛ فدلتهم إمرأة على محلة لهم، فأصابوا نعماً وشاء وأسرى.

سرية العيص

وفي شهر جمادي الأول من سنة ست بلغ رسول الله ﷺ أن عيراً لقريش قد أقبلت من الشام؛ فبعث زيد بن حارثة في سبعين راكباً فأدركها بالعيص. وهو موضع على أربع ليال من المدينة، فأخذها وما فيها! وفيها فضة كثيرة لصفوان بن أميه بن خلف. وكان على القافلة أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت رسول الله ﷺ فجاء ليلاً، ودخل

(١) أي مصارع أصحاب محمد بن مسلمة.

على زوجته فأجارته. وسمع المسلمون ذلك فردوا عليه جميع ما أخذوه من القافلة. فذهب به إلى مكة، وسلمه لأربابه ثم عاد فأسلم. وقيل إن هذه الواقعة كانت بعد الحديبية وإن الذي أغار عليها هو أبو بصير وأصحابه.

سرية الطرف

وهو ماء على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة بطريق العراق بعث رسول الله ﷺ في جمادى الأولى، وقيل الآخرة زيد بن حارثة إلى بني ثعلبة بالطرف في خمسة عشر رجلاً. فخافوا أن يكون رسول الله ﷺ سار إليهم، وهذه مقدمة جيشه فهربوا. وأصاب زيد نعماً وشاء وعاد إلى المدينة، وكانت غيبته أربع ليال.

سرية وادي القرى

وكانت في رجب سنة ست.. بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى وادي القرى إلى بني فزارة، فلقيهم فأصيب أناس من أصحابه وارتث زيد من بين القتلى، وحمل إلى رسول الله ﷺ فنذر زيد أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو فزارة فغزاهم وظفر بهم.

سرية دُوَمةِ الجَندَل

ودومة الجندل حصن وقرى على خمس عشرة أو

ست عشرة ليلة من المدينة بينها وبين دمشق خمس ليال. وكانت هذه السرية في شعبان سنة ست من الهجرة. بعث رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف إلى كلب بدومة الجندل، فدعاهم إلى الإِسلام فأبوا. ثم أسلم رئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلبي، وأسلم معه ناس كثير من قومه. وأقام آخرون على نصرانيتهم، وأعطوا الجزية. وتزوَّج عبد الرحمن تماضر بنت الأصبغ وقدم بها المدينة.

سرية فدك

وكانت في شعبان سنة ست. بعث رسول الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في مائة رجل إلى (فدك) إلى بني سعد بن بكر، وكانوا ساعين في جمع الناس ليمدوا يهود خيبر. فسار عليٌّ كرم الله وجهه حتى أغار على نعمهم، فاستاقها وكانت خمسمائة بعير وألفا شاة. وهربت بنو سعد بنسائهم، وجاء كرم الله وجهه إلى معسكرهم فلم يجدهم فقدم المدينة ومن معه ولم يلق كيداً.

الاستسقاء

وفيها أجذب الناس، فاستسقى بهم رسول الله ﷺ في رمضان فسقاهم الله.

سرية أم قرفة بفدك

و(فدك) موضع بوادي القرى على سبع ليال من المدينة، وكانت هذه السرية في رمضان سنة ست. قد ذكرنا أن زيد بن حارثة رضي الله عنه حلف أن لا يمس رأسه ماء حتى يغزو فزارة، وقيل أنه خرج أيضاً إلى الشام في تجارة، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله ﷺ فاعترضه بنو فزارة؛ فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم. فقدم على رسول الله ﷺ فأخبره.. فبعثه ﷺ إليهم في جيش، فصبحهم هو وأصحابه، وكبَّروا وأحاطوا بمن حضر منهم فقتلوهم. وأخذوا أم قرفة وكانت ملكة ورئيسة فيهم، وأخذوا ابنتها وقتلت أم قرفة بما كانت تسب رسول الله ﷺ.

سرية عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي

قد تقدم خبر قتل ابن أبي الحقيق اليهودي بخيبر، وقيل أنه قُتل سنة أربع، وقيل في رمضان سنة ست، وقيل في ذي الحجة سنة خمس. وقال الواقدي إنه سنة أربع، ولعله أقرب إلى الصواب. فلما قُتل أمَّرت يهود عليها أُسير بن رزام اليهودي؛ فتجبر وسار بجمع الجنود ليغزو رسول الله ﷺ. فأرسل رسول الله ﷺ عيونه ليستكشف الخبر، فعادوا له بحليته. فندب له الناس فانتدب له ثلاثون رجلاً فبعث عليهم عبد الله بن رواحة. فلما وصلوا إليه

استدرجوه حتى أخرجوه معهم في جماعة من اليهود، ثم ندم فهمَّ بالغدر بهم، فمالوا عليه وعلى أصحابه فقتلوهم.

سرية عكل وعرينة

وكانت في شوال سنة ست وهو الصحيح وقيل أنها في جمادى الأولى وسببها أن ناساً من عكل وعرينة قدموا على رسول الله ﷺ وتكلموا بالإِسلام وأظهروا التوحيد، وكانوا مصفرة ألوانهم، عظيمة بطونهم. فالتمسوا من رسول الله ﷺ أن يخرجوا إلى الإِبل فأمر لهم بذود منها وراع ليشربوا من ألبانها وأبوالها. فانطلقوا حتى إذا كانوا بالحرة كفروا وغدروا بالراعي؛ فقتلوه وذهبوا بالإِبل. فأرسل رسول الله خلفهم خيلاً أمَّر عليهم كرز بن جابر الفهري فأدركوهم فقتلوهم.

سرية عمرو بن أمية الضمري

إلى أبي سفيان بن حرب ليقتله. وسببها أن أبا سفيان صخر بن حرب قال لنفر من قريش ألاّ أحد يغدر محمداً فإنه يمشي في الأسواق. فأتاه رجل من الأعراب في منزله. فقال قد وجدت أجمع الرجال قلباً وأشدهم بطشاً وأسرعهم فإن أنت قويتني خرجت إليه حتى اغتاله، ومعي خنجر مثل خافية النسر فاقتله، ثم آخذ في

جبل عير فأسير وأسبق القوم عدواً فإني هادٍ بالطريق فقال: أنت صاحبنا فأعطاه بعيراً ونفقه، وقال أطو أمرك فخرج ليلاً فسار على راحلته خمساً وصبح ظهر الحرة صبح خامسة، وأقبل يسأل عن رسول الله ﷺ حتى وجده بمسجد بني عبد الأشهل. فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (إن هذا ليريد غدراً والله حائل بينه وبين ما يريد). فذهب لينحني على رسول الله ﷺ ويأخذ أسيد بن حضير بداخلة إزاره فيجذبه فإذا الخنجر. فسقط في يده وأدركه الرعب واستخبره رسول الله ﷺ عن جلية الخبر فأخبره ثم أسلم وذهب. فانتدب رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري ومعه سلمة بن أسلم الأنصاري إلى أبي سفيان، وقال: (إنْ أصبتما منه غرة فاقتلاه)، ومضى عمرو يطوف بالبيت ليلاً فرآه معاوية بن أبي سفيان فأخبر قريشاً بمكانه فحذروا وطلبوه وحشدوا له وتجمعوا. فهرب عمرو وسلمة فلقي عمرو عبيد الله بن مالك التيمي فقتله. ولقي رجلاً من بني الديل كافراً فقتله. ثم لقي جاسوسين أرسلتهما قريش يتجسسان الخبر فقتل أحدهما، وأسر الآخر وقدم به على رسول الله ﷺ. فجعل عمرٌو يخبر رسول الله ﷺ وهو عليه الصلاة والسلام يضحك.

غزوة الحديبية

وكانت في ذي القعدة سنة ست. خرج صلَّى الله عليه وآلة وسلَّم يوم الإِثنين هلال ذي القعدة إلى مكة معتمراً في ألف وأربعمائة من أصحابه. وفي رواية وخمسمائة. وساق سبعين بدنة هدياً. وقلَّد رسول الله ﷺ الهدي، وأشعره بذي الحليفة. وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عيناً من خزاعة ليعلم له خبر قريش. وكان خشي أن يصدوه عن البيت. فلمَّا كان قريباً من عسفان جاءه عينه، فأخبره أن قريشاً جمعوا له الجموع مع الأحابيش وغيرهم. وهم مجمعون على قتاله وصدِّه عن البيت. وقد قدموا خالد بن الوليد إلى كراع الغميم. فأخذ رسول الله ﷺ قد خالفهم عن طريقهم. فركضوا راجعين إلى قريش ينذرونهم. وسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بثنية المرار - وهي تشرف على الحديبية وتهبط على قريش - بركت ناقته فقال الناس: حَلْ حَلْ. فَأَلَحَّتْ. فقالوا خلأت القصواء! أي حرنت فقال ﷺ: (والله ما خلأت وما ذلك لها بخلق؛ ولكن حبسها حابس الفيل). ثم قال: (والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلاَّ أعطيتهموها). أي لم يرد الله دخول المسلمين على تلك الصورة لما تفضي إليه من سفك الدماء في الحرم! وكان في مكة جمع كثير من المؤمنين مستضعفين لم يؤمن أن

تصيبهم معرة الجيش. قال الله تعالى ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾. فعدل ﷺ حتى نزل بأقصى الحديبية على ماء قليل، لم يلبث أن نفد، فانتزع سهماً من كنانته، فأمرهم أن يجعلوه في البير فجاش بالماء. وأراد رسول الله ﷺ أن يرسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قريش، فاعتذر بأن قومه هناك لا يحمونه. فأرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقال: أخبرهم أنا لم نأت لقتال؛ وإنما جئنا عُمَّاراً وادْعُهم إلى الإِسلام! وأمره أن يأتي رجالاً من المستضعفين؛ فيبشرهم بالفتح فذهب إليهم. فبيناهم كذلك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه، فأخبر رسول الله ﷺ بأن قريشاً مقاتلوه وصادوه عن البيت. فقال رسول الله ﷺ: (إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين). وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددناهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلاَّ فقد جموا. وإن هم آبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنَّهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذن الله أمره. فقال بديل: سنبلغهم ما تقول. فذهب بديل إلى قريش فأخبرهم. فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: إن هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آتيه. فجاء إلى النبيِّ

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فكلَّمه النبيُّ ﷺ بنحو ما قال لبديل، وجعل عروة يرقب أصحاب رسول الله ﷺ. فقال فوالله إن يتنخم النبيُّ نخامة إلاً وقعت في كف رجل منهم فدلَّك بها وجهه وجلده. وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوءه. وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم؛ وما يحدون النظر إليه تعظيماً له! فرجع عروة إلى أصحابه فقال: يا قوم لقد وفدت على الملوك فما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً! وأخبرهم بما رآه. فقال رجل من كنانة دعوني آتيه. فقالوا ائته فلمَّا أشرف على النبيِّ ﷺ وأصحابه أمرهم أن يثيروا البدن والهدي في وجهه، فأثاروها واستقبله قوم يلبون. فلمَّا رأى ذلك قال: سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت، فرجع إلى قريش. وقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، وما ينبغي لهؤلاء أن يُصدوا عن البيت. وغضب وقال لقريش ما على هذا حالفناكم. وأراد أن يذهب بقومه مفارقاً لهم. فاستمهلوه وأرسلوا مكرز بن حفص، فجاء فجعل يكلم النبيِّ ﷺ ثم بعثوا سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى ليصالحوه، وتوادع الناس واختلطوا. ففتك أبو سفيان بن حرب فلم يشعروا إلاً والوادي يسيل بالرجال والسلاح، فتثاوروا وتعاركوا. فأسر المسلمون رجالاً، وأسر المشركون رجالاً، ثم شد المسلمون على المشركين

فاستنقذوا إخوانهم. وجاءوا بالمشركين يسوقونهم إلى رسول الله ﷺ فأمرهم باطلاقهم. وقال: دعوهم يكن لهم بدء الفجور. وبلغ رسول الله ﷺ إن عثمان قد قُتل. فدعا المسلمين إلى البيعة فبايعوه على أن لا يفروا. وهي بيعة الرضوان. ثم إن قريشاً سمعت بالبيعة فخافت، وبعثت سهيلاً وحويطباً فولوهم صلحهم. وبعث النبيُّ ﷺ عليّاً في صلحه. ولما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلَّم فأطال الكلام وتراجعا. ثم جرى بينهما الصلح فلمَّا التأم الأمر ولم يبق إلاّ الكتاب؛ وثب عمر بن الخطاب فعارض في ذلك. وراجع أبا بكر مراجعة شديدة. وراجع رسول الله ﷺ مثل ذلك. فقال له رسول الله ﷺ: أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره، ولن يضيعني، وقال له أبو بكر: أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه. وهو ناصره استمسك بغرزه حتى تموت؛ فإني أشهد أنه رسول الله. فقال عمر: وأنا أشهد أنه رسول الله؛ فكان عمر رضي الله عنه يقول: ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به. فلما أرادوا الكتاب دعا رسول الله ﷺ عليّاً[1] فقال: اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال

---

(١) هكذا اجمع أهل السير على أن الكاتب علي كرم الله وجهه. وقد عد الحافظ ابن حجر ما ورد في رواية من أن الكاتب محمد بن مسلمة من =

سهيل: لا أعرف هذا؛ ولكن اكتب باسمك اللهم فأمره رسول الله ﷺ فكتبها، واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين.. يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً لم يردوه. وإن بيننا عيبة مكفوفة وإنه لا أسلال ولا أغلال، وأن من أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه. فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد رسول الله وعهده. وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم. وإنك ترجع عنا في عامك هذا وتعود من العام القابل. فلما رأى المسلمون ما وقع عليه الصلح، وما تحمل رسول الله ﷺ في نفسه دخلهم أمر عظيم؛ حتى كادوا أن يهلكوا. ولما أبى سهيل أن يكتب عليٌّ كرَّم الله

= الأوهام. ولعل ذلك من روايات الخوارج التي يعارضون بها كل ما ورد في شأنه كرَّم الله وجهه.. كما قال ذلك الحافظ الحاكم فذكر روايتهم في قتل عمرو بن ود فكذبها وغير ذلك من أكاذيبهم؛ ولذلك نظائر كمعارضة استخلافه في غزوة تبوك على المدينة باستخلاف محمد بن مسلمة، وانفراده بقتل عمرو بن ود بمشاركة محمد بن مسلمة أيضاً له بضربة، وقتله مرحب اليهودي ونحو ذلك. وقد أخرج الطبري صاحب الرياض عن أحمد في المناقب والغساني عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان كاتب الصلح يوم الحديبية عليٌّ بن أبي طالب. قال عبد الرزاق قال معمر: فسألت عنه الزهري فضحك أو قال تبسم.. وقال: هو عليٌّ ولو سألت هؤلاء لقالوا عثمان يعني بني أمية.

وجهه بسم الله الرحمن الرحيم وقال: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم. قال المسلمون: والله لا يكتبها وضجوا فاسكتهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأمر عليّاً أن يكتب باسمك اللهم. ثم قال ﷺ لعليٍّ اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو. فأبى سهيل أن يكتب كذلك وقال: اكتب محمد بن عبد الله! فقال رسول الله ﷺ لعليٍّ كرَّم الله وجهه: امح رسول الله! فجعل عليٌّ يبكي ويأبى أن يكتب إلاَّ محمد رسول الله! وضج المسلمون وارتفعت الأصوات، ووثب أسيد بن حضير وسعد بن عبادة فأخذا بيد علي ومنعاه أن يكتب إلا محمد رسول الله وإلا فالسيف بيننا وبينهم. فجعل رسول الله ﷺ يخفضهم ويؤمى بيده اليهم أن اسكتوا وقال لعلي عليه السلام اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مقهور(١) ولما فرغ رسول الله ﷺ من أمر الصلح أمر أصحابه بأن ينحروا هديهم ويحلقوا رؤوسهم ويحلوا من إحرامهم فتلكئوا ـ وكانوا قد دخلهم من شأن الصلح

(١) وهذا من معجزاته ﷺ واعلام نبوته فانه اعلام بما سيقع بينه وبين الفئة الباغية ووقع ذلك كما اخبر بعد حرب صفين لما كتبوا كتاب التحكيم هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال عمرو بن العاص لا تكتب أمير المؤمنين وارسل معاوية لعمرو يقول لا تكتب أن عليا أمير المؤمنين فوقعت محاورة وضجة مثلما وقعت في هذه القصة سواء.

ورجوعهم عن البيت أمر عظيم - ثم أنه ﷺ بدأ فنحر بدنه وحلق رأسه فلما رأوه فعل ذلك قاموا ونحروا وحلقوا مزدحمين عجلين حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً من الإِزدحام وأخذوا شعره صلى الله عليه وآله وسلم فتقاسموه بينهم حصصاً ونزلت سورة الفتح بعقب ذلك.

المصلحة العظيمة في هذا الصلح

لقد خفي على المسلمين إذ ذلك ما علمه الله ورسوله ﷺ في ذلك الصلح من الحكم الجليلة والمصالح العظيمة والفوائد التي لا تعد ولا تحد فإنه كان مقدمة لفتح مكة ولإِنتشار الإِسلام بين الناس ومعرفتهم بحقيقته وذلك أن قريشاً كانت تبث وتنشر بين الناس دعاية السوء ضد الإِسلام ولا سيما في أيام الحج. وكانت قريش تضرب في أكناف جزيرة العرب فيبلغون عن النبي ﷺ وعن أصحابه ودينه أسوأ البلاغ. ويفترون أعظم الفرى. والمسلمون لا يستطيعون ضرباً في الأرض. والناس كلهم عليهم إلْبٌ. فكانت العرب جمعاء تظن بالدين ما يبلغها على السنة هؤلاء. ولقد كانت عامة قريش مغترة بما تسمعه من رؤسائها. فلما وقع صلح الحديبية اختلط المسلمون بالكفار وبَادؤهم بالدعوة واسمعوهم القرآن. وناظروهم على الإِسلام جهرة آمنين. ونشروا بينهم أحكامه وبراهينه. واظهروا لهم

محاسنه وكشفوا عنه الشبه والأكاذيب. فدخل في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل. وعادت شروط الصلح التي ظن المسلمون في بادىء الأمر أنها ذل وقهر أبواب العز والنصر وانتشار الإِسلام ثم كان نقض قريش لها وغدرهم بها سبب فتح مكة ودخول الناس بعده في دين الله أفواجاً. وعاد ما أظهره المشركون من الحمية والفخر عند إملاء شروط الصلح ذلاً عليهم ووبالاً. والله يعلم وأنتم لا تعلمون.

تم الجزء الأول

ويليه الجزء الثاني أوله ما وقع بعقب صلح الحديبية وقصة أبي بصير

تنبيه وتفهيم

ليعلم القارىء أنا قد أودعنا هذه السيرة خلاصة الحوادث المهمة، كما أنا قد جمعنا في الجزء الثاني جميع المغازي والسرايا والحوادث الإِسلامية الواقعة في عصره ﷺ وبذلك يجتمع للقارىء صورة كاملة من سيرته ﷺ على وجه تام كامل جامع، وإنا لنرجو أن ييسر الله لنا تكميل التاريخ الإِسلامي في أجزاء متتابعة على هذا الوجه الحسن الجامع. والله ولي الهداية والتوفيق.

علوي بن طاهر الحداد
العلوي

الفهرس